ثبت المصادر والمراجع

فيما يلى أسماء بعض المصادر والمراجع التى استعنا بها فى وضع هذا الكتاب . نذكرها ليفيد منها من يرغب فى متابعة هذه الدراسة بشىء من التفصيل .

أولا : العربية :

- أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- أحمد صدقى الدجانى : ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالى أو طرابلس الغرب فى أواخر الحكم العثمانى الثانى ١٨٨٢-١٩١١ القاهرة ، ١٩٧١ .
- ارجمند كوران : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسى للجزائر - ترجمة عبد الجليل التميمى - تونس ، ١٩٧٤ .
- خليفة التليسى : حكاية مدينة ، طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب ، ليبيا ، طرابلس ١٩٧٤ .
- رأفت الشيخ : تاريخ العرب الحديث ، القاهرة ١٩٩٤
- عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها حـ٢ القاهرة ١٩٨٠ .
- عبد الكريم كريم : المغرب فى عهد الدولة السعدية ، الرباط ، ١٩٧٧ .

عبد المنعم الجميعـــى : العثمانيون فى الميزان الإسلامى والغربـــى ، القاهرة ، ١٩٩٥ .

- محمد جميل بيهـــم : أ- الحلقة المفقودة فى تاريخ العرب ، القاهرة ١٩٥٠ .

ب- فلسفة التاريخ العثمانى . كيف نشـــأت وارتقت الدولة العثمانية ، بيروت ١٩٢٥ .

- محمد خير فـــارس : تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثمانى إلى الاحتلال الفرنسى ، بيروت ، ١٩٧٩ .

- مرفـت ســـرداح : الجهاد العثمانى لإنقاذ بلاد المغرب العربـــى ١٥١٨-١٥٧٨ رسالة ماجستير غير منشوره كلية البنات - جامعة عين شمس ، ٢٠٠٠ .

- نيقـولا زيـــادة : ليبيا من الاستعمار الإيطالى إلى الاســـتقلال القاهرة، ١٩٥٨ .

ثانيا : الأجنبية :

- Gibb and Bowen : Islamic Society and the West. London 1960 .

- Show (S) : History of the the Ottaman Empire and Modern Turky, London 1977 .

— ٢ —

موقف الدولة العثمانية من الثورة العرابية

دكتور عبد المنعم ابراهيم الدسوقى الجميعى
كلية التربية ـ جامعة القاهرة

مقـــــدمة :

وجدت الدولة العثمانية فى قيـــام الثورة العرابية والنزاع المستمر بين الخديو والعرابيين فرصة للتدخل فى شـــئون مصر الداخليـــة بحجة فض النزاع واقرار الأمور ، ومع أن السلطان عبد الحميد الثانى وجد فى الثورة فرصـــة للانتقاص من مزايا الاستقلال الداخلى الذى حصلت عليه مصر فانه آثر التريث فى الانضمام الى اى من الطرفين ، ورغم انه لم يكن مرتاحا للحركة الوطنيـــة المصرية لانه كان يخشى انتشـــار مفهوم الثورة منها الى باقى ولايات دولته نظرا لموقع مصر الجغرافى فى وسط ممتلكاته بالاضافة الى ان الثورة العرابية طرحت مفاهيم تستنكرها الدولةالعثمانية كل الاستنكار مثل الدعوة الى الفظام النيـــابى وفـــكرة توزيع الأرض على الفلاحين الا انه حاول اللعب على الطرفين والوقوف مع الجانب التى ترجح كفته فى النزاع فكانت هنـــاك اتصالات بين رسله وبين عرابى كما كانت هنـــاك اتصالات بينه وبين الخـــديو ، ورغم أن الخديو قـــد ارسل الى السلطان يطلب ارسال قوات تركية الى مصر للقضـــاء على الثورة فان السلطان خشى من رد فعل الدول الأوربيـــة خصوصا وان خبرة الـــدولة العثمانية فى الصـــدام مع الدول الأوربية منذ مؤتمر برلين جعلتها تتردد فى انتهاز هذه الفرصة .

ومن الطبيعى ان يكون حجر الزاوية بالنسبة لـــكتابة هذا الموضوع

هو الوثائق التركية لذلك فقد رجعت الى الوثائق التركية المترجمة الى العربية والموجودة بدار الوثائق بالقلعة تحت عنوان ملف ثابت باشا المحفظتان ١٦٣ ، ١٦٤ عابدين ، ومحفظة ١١٦ ابحاث ، ودفتر ٢٨٧ عابدين بالاضافة الى محافظ الثورة العرابية وبعض المراجع الأخرى .

وملف ثابت باشا يحتوى على الكثير من الوثائق الخاصة بالثورة العرابية ووجهت نظر الدولة العثمانية تجاهها .

وثابت باشا كان يعمل مندوبا للخديو بالاستانة أثناء قيام الثورة العرابية وتذكره الوثائق بأنه « قبوكتخدا الحضرة الخديوية بالاستانة » .

ومحور الموضوع الرئيسى يدور حول الرسائل المتبادلة بين الخديو والباب العالى والتى يتضح منها :

١ ــ موقف الدولة العثمانية من الثورة العرابية بعد مظاهرة عابدين وبعثه نظامى باشا .

٢ ــ موقف الدولة العثمانية من المؤامرة الجركسية .

٣ ــ بعثة درويش باشا حتى منشور السلطان باعلان عصيان احمد عرابى .

حاولت الدولة العثمانية استغلال احداث الثورة العرابية لتثبيت سيادتها على مصر والانتقاص من مزايا استقلالها الذى نالته فى عهد محمد على ثم فى عهد اسماعيل ، ومع ان الخديو توفيق قد ساعدها على أن تنتقص من هذه المزايا بطلبه ارسال قوات تركية الى مصر لاخماد الثورة العرابية وكان فى ذلك فرصة لها لتحقيق اغراضها الا انها لم تستغل هذه الفرصة فأثناء قيام مظاهرة عابدين فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ أرسل الخديو ثلاث برقيات الى الباب العالى تتضمن الحادث ولكن بصورة مختصرة من غير أن يوضح فيها الأسباب الحقيقية له والباعث عليه مكتفيا باسناد قيام الثورة الى ضابط برتبة « امرالاى » (١) تمكن من استمالة الجيش المصرى اليه واحاط « بتعضيد من معظم ذلك الجيش بقصر عابدين .. وضرب الحصار حوله » (٢) وقد طلب الخديو « ارسال قوة عسكرية يبلغ مقدارها عشرين طابورا على جناح السرعة على ان

تكون قيادتها العامة منوطة به خاصة » (٣) ولما كان الباب العالى يخشى رد فعل الدول الأوربية وخصوصا انجلترا لو تدخل عسكريا فى مصر ، بالاضافة الى ان الخديو توفيق لم يكن منظورا اليه فى الاستانة بعين العطف والرضا (٤) فقد أرسل الباب العالى يطلب معلومات اكثر وضوحا عن الحادث حيث ذكر فى برقية له الى الخديو « وبما انه ليس من المحتمل قط ان لا يكون لديكم انباء عن ظروف وملابسات تلك الثورة العسكرية قبيل اجتماع الجنود على الثورة والاحاطة بسموكم فى قصركم وتضييق الحصار عليه فضلا عن ان حكومتكم لابد لها من علم بالظروف والأحوال التى ساعدت على تكوين هذا الحادث .. فازاء ذلك لا يسع الباب العالى أن يقوم بأى سعى لاعادة الأمن الى نصابه وتسوية المسألة وفق الاعتبارات المحلية مالم يحصل أولا على المعلومات الوثيقة من سموكم لتجلو الأحوال جلاء تاما » (٥) .

وكان رد الخديو على هذه البرقية قوله : « ان الحكومة لم يكن عندها اى نبأ او علم سابق بهذا الموضوع ، وكل ما هنالك اننا نعلم ان هناك صحيفة تدعى (ابو النظارة الزرقاء) يصدرها فى باريس باللغة العربية العامية رجل يدعى (جمس) (٦) له اتصال وثيق بطبيب عمى سمو عبد الحليم باشا وان آلاف من اعداد هذه الصحيفة تدخل مصر بطرق مختلفة ، وتوزع سرا ومجانا بين صفوف الجيش .. ولا يخفى على أحد ان الذى ينفق بسخاء على طبع ونشر هذه الصحيفة هو سمو عبد الحليم باشا لا غير وبما ان الدعايات التى تقوم بها هذه الصحيفة والأفكار التى تبثها تتفق تمام الاتفاق مع الأفكار السائدة الآن فى البيئات الناقمة والطبقات المتذمرة فى الجيش فيمكننا ان نقول ان لدعاية هذه الصحيفة دخلا كبيرا فى قيام هذه الفتنة العسكرية (٧) ثم ذكر ان الحادث انتهى من غير حاجة الى اتخاذ تدابير شديدة نحو ازالته(٨) ثم اكد فى برقية اخرى « ان الجيش الآن فى غاية الخضوع والطاعة وان سائر الأمور والشئون جارية على ما يرام » (٩) ومع ذلك فان الحكومة التركية رات فيما حدث ذريعة للتدخل السياسى فى شئون مصر وانتحال حق الاشراف عليها — على الرغم من محاولات انجلترا للتضييق على السلطان للاحالة دون ذلك (١٠) حتى يمكنها العمل منفردة فى مصر — فقررت ارسال

لجنة الى مصر للنظر فى الحوادث الأخيرة ، وقد عرفت هذه اللجنة بالوفد العثمانى وكانت برئاسة على نظامى باشا سرياور السلطان عبد الحميد وعلى بك فؤاد من اعضـــاء مجلس شورى الدولة (١١) ونجل عالى باشا الصـــدر الأعظم المشهور ومعهما قدرى بك وصفر افنـــدى وســـيف الله افندى من ياوران السلطان .

يذكر الأستاذ عبد الرحمن الرافعى فى كتـــابه « الثورة العرابيـــة والإحتلال الانجليزى » أن هذا الوفـــد تحرك من الآســـتانة يوم ٢ أكتوبر ١٨٨١ قاصدا مصر ولم يسبق تأليفه مخابرة بين حكومة الآستانة والحكومة المصرية حتى تعرف المقصـــد من ايفـــاده (١٢) ولـــكن الوثائق التركية تثبت ان الخـــديو كان يعلم عن طريق مندوبه فى الآستانة (١٣) بتشكيل الوفـــد والمهمة التى سيكلف بها (١٤) .

جاء الوفد الى الاسكنـــدرية يوم الخميس ٦ أكتوبر ١٨٨١ ووصـــل اعضـــاؤه الى القـــاهرة فى مساء ذلك اليوم ونزلوا ضيوفا على الحكومة المصرية وفى صبيحة الجمعـــة ذهبوا الى سراى الاسماعيليـــة لمقـــابلة الخديو فاستقبلهم بالترحاب وابلغوه أن الغرض من حضورهم هو اظهـــار الثقـــة به وتثبيت مركزه (١٥) كما ذهب نظامى باشا الى ديوان الحربيـــة بقصر النيل حيث استقبله محمود ســـامى البارودى ناظر الجهادية وهناك القى خطـــابا فى كبار الضباط حثهم فيه على طاعة الخديو (١٦) ورد عليه طلبه عصمت بخطاب أعلن فيـــه خضوع الضـــباط والجنود للســـلطان والخـــديو (١٧) .

ولمـــا زار الوفـــد العثمانى شيخ الجامع الأزهـــر وبعض الشـــيوخ وجدوا فى حديثهم أطراء على الجيش واعمـــاله (١٨) وظل رجال الوفـــد العثمانى فى مصر بضـــعة عشر يوما بين مقابلات وولائم ، واجمعت كلمة من حادثوهم على أن البلاد ليس فيهـــا أى اضطراب واكد لهم الخديو أن الجيش على طاعته وبذلك انتهت مهمتهم (١٩) وغادر الوفد القـــاهرة الى الاسكندرية فى ١٨ أكتوبر ١٨٨١ (٢٠) .

والجدير بالذكر ان انجلترا وفرنســـا اســـتاءتا من حضـــور الوفـــد العثمانى الى مصر على غير اتفـــاق معهما واعتبرتاه تدخلا فى شئون مصر

الداخلية وطلبتـــا من الحكومة العثمانية تقصير مدة اقامته (٢١) كما انتهز السير ادوارد مالت القنصل الانجليزى الفرصة لسكى تبسط بلاده نفوذها على مصر فطلب من حكومته ارسال بارجة حربيـــة الى مياه الاسكنـــدرية فاجابته الى طلبـــه كما اتفقت مع الحكومة الفرنسية على أن ترسل هى الأخرى بارجة على أن تغـــادر البـــارجتان الاسكندرية حين مبارحة الوفد العثمانى مصر ، وفعلا حدث ذلك حيث غادرت البارجتان ميناء الاسكندرية فى ٢٠ أكتوبر ١٨٨١ أى غداة سفر الوفد العثمانى (٢٢) .

هذا عن موقف الدولة العثمانية تجاه الثورة العرابية عقب مظـــاهرة عابدين أما عن موقفها من المؤامرة الشركسية (٢٣) فانه بعد أن ارسل الخديو الى السلطان بخصوص هذا الموضـــوع وطلب منه ارشاده حول الأحكام القاسية التى أصدرها العرابيون ضـــد الشراكسة ويقترح عليه عدم تنفيذ الأحكام (٢٤) وقف السلطان مؤيدا لموقف الخـــديو وسر من ذلك سرورا بالغا وتمنى للخـــديو الخير وقال « انه طالما يظل الخـــديو مقيما على اخلاصه الذى اظهره للدولة العلية حتى الآن .. فانه سيجد الدولة العلية مساعدة ونصيره له على الدوام » (٢٥) .

ومع ان الأحوال فى مصر كانت غير مستقرة فانجلترا تمهد للتـــدخل العسكرى والخديو يشكو للسلطان من العرابيين ويطلب منه — عن طريق رســـالة بعث بها الى ثابت باشا بالآستانة — ارسال قوات عسكرية تركية تقف أمامهم بقوله « وقد راح هؤلاء الضباط (يقصـــد العرابيين) يعملون للوصـــول الى اهـــدافهم بالتـــدريج كلما سنحت لهم الفرصة الى أن بلغوا حد السيطرة على جميع القوات العسكرية ، وهم الآن خارجون عن الطاعة كل الخروج وليس لهذا الوضع من علاج سوى اخذ هذه القوات العسكرية من أيديهم وردها الى القانون والنظام وهذا يحتاج الى قوة عســـكرية تقف امامهم » (٢٦) ولـــكن السلطان تردد فى ارسال جنود عثمانيين الى مصر خشية الصـــدام مع الدول الأوربيـــة كما ان معظم المشـــايخ بالآســـتانة اوضحوا للسلطان بأن « ارسال عساكر المسلمين لقتـــال اخوانهم المسلمين يضر بمقـــام الخلافة » (٢٧) يضاف الى ذلك أن السيد احمد أسعد وهو من الشيوخ المقربين من السلطنة كان قـــد مدح عرابى أمام السلطـــان (٢٨) وذكره بأنه الرجل الذى يرجى منه الخير لمصر .

ولمعالجة الموقف استقر راى السلطان العثمانى على ارسال بعثة الى مصر بحجة اعادة الأمور فيها الى نصابها ، ومعالجة الأحوال على اساس الاستفادة من الخلاف بين الخديو والعرابيين ابتغاء تثبيت سلطة الدولة فى مصر (٢٩) وفى الثامن من شهر يونية ١٨٨٢ عين السلطان مصطفى درويش باشا احد رجال الحاشية السلطانية مندوبا عثمانيا ساميا وعهد اليه برئاسة وفد يكون كما تذكر الوثائق التركية من « نجله، وأربعة من اليساوران وكاتبه الخاص ونحو تسعة من خدم المابين (٣٠) . ومجموع الذين سيأتون فى معيته حوالى ثلاثين نفرا ، وفوق ما تقدم سيكون فى رفقته حلمى بك مدير مكتب تلغراف المابين السلطانى ، وان الذين سيرافقونه من يعرف اللغة العربية » (٣١) وأمره بالسفر الى مصر، وكانت خطة الوفد ان يتظاهر درويش باشا بانه جاء لتثبيت سلطة الخديو، وان يتعامل اسعد باشا احد اعضاء الوفد مع عرابى ويوضح له رضى السلطان عنه (٣٢) .

وصل درويش باشا والوفد المرافق له الى الاسكندرية يوم الاربعاء الموافق ٧ يونية ١٨٨٢ على ظهر اليخت السلطانى عز الدين (٣٣) فارسل الخديو وفدا برياسة على ذو الفقار باشا لاستقباله على ظهر اليخت كما ارسل عرابى من طرفه يعقوب سامى باشا وكيل نظارة الجهادية لاستقبال الوفد ، ولكن الخديو اعترض على ذلك وأبلغ محافظ الاسكندرية بعدم موافقته على اجراء اى شىء من رسوم الاستقبال من طرف العرابيين للبعثة ، ولكن يعقوب باشا لم يكترث بالأمر بحجة انه موفد من طرف ناظر الجهادية لا يمنعه عن ذلك سوى اوامر منه (٣٤) وفعلا تم استحضار ثلاثة قوارب احداها لوكيلى الجهادية والبحرية والثانى لمحافظ الاسكندرية والثالث لمندوبى المعية ، وساروا سويا ولكن قارب الوكيلين سبق القاربين الآخرين ووصل قبلهما بمدة ربع ساعة تقريبا وعند وصولهما استقبلهما دولتلو درويش باشا باعظم قبول واختلى بسعادة يعقوب باشا وتحدث معه ملياً ، وبعدها وصل القاربان الآخران وكانت مقابلتهما اعتيادية، ولما ركب ذو الدولة درويش باشا فى الزورق المعد لركوبه استصحب معه سعادة يعقوب باشا وكيل الجهادية فقط وترك الآخرين (٣٥) .

وفى اليوم التالى سافر درويش ووفده الى القاهرة فجمع مأمور

الضبطية بها بعض الاهالى ومررهم بالطريق الذى يمر منه درويش باشا « فاخذوا يرفعون اصواتهم بمدح احمد عرابى وخفض شأن الخديو » (٣٦)

ولما ذهب درويش باشا الى سراى الاسماعيلية قابله الخديو بالترحاب (٣٧) ورد له الزيارة بسراى الجزيرة ، وهو المكان الذى اعد لاقامة الوفد (٣٨) كما حضر الى سراى الجزيرة بعض العلماء للترحيب بدرويش باشا وتحدث « الشيخ عليش والشيخ حسن العدوى وغيرهم من المنتمين الى عرابى عن مساوىء الخديو » (٣٩) .

لقد كانت خطة البعثة العثمانية التظاهر لكل من الخديو والعرابيين بأن السلطان معه ، وكان من مظاهر ذلك أن الوفد طلب نحو مائتى نيشان للضباط مكافأة لهم على اخلاصهم للسلطان كما طلب لعرابى النيشان المجيدى من الطبقة الأولى ، ولكن بعد أن منح الخديو درويش باشا رشوة قيمتها خمسون الف جنيه بالاضافة الى هدايا قيمتها خمسة وعشرون الف جنيه (٤٠) انضم درويش علانية الى الخديو وظهر ذلك فى محاولاته المتكررة للتخلص من عرابى فطلب اليه أن يسافر الى الآستانة لشكر السلطان على منحه الوسام (٤١) وان يترك له ديوان الجهادية وقد فطن عرابى الى العواقب المترتبة على تركه ديوان الجهادية والسفر الى الآستانة فقال له « خذ عليك عهده حفظ الأرواح وانشر ذلك فى الجرائد العربية والتركية والأفرنجية وانا اتوجه الى الحضرة الملوكية » (٤٢) ولما تردد درويش باشا فى الأمر ذكر له عرابى بأن الأمة لا تسمح له بمغادرة البلاد (٤٣) وانه لايستطيع امام الأزمة الراهنة التى نشأت من جراء عدوان الانجليز الذهاب الى اى مكان وانه سيعبر عن عرفانه للسلطان بالجميل برقيا (٤٤) .

ولما فشل درويش فى مبتغاه اعطى اوامر سرية لقبطان الباخرة التركية (عز الدين) التى اقلته الى مصر بالاستعداد للرحيل والاقلاع الى استنبول بمجرد صعود عرابى الى ظهرها ثم ذهب الى عرابى واظهر له وده وطلب منه زيارة السفن المصرية الراسية فى الميناء وكذلك الباخرة التركية المذكورة ، ولكن عرابى أحس بالمؤامرة فذكر له انه ضابط مشاة ولا شأن له بالبحر ، وان من الأولى عدم اضاعة الوقت فى زيارة

السفن (٤٥) ولما احس رجال الثورة العرابية بميول درويش باشا العدائية تجاه الحركة الوطنيـــة ارسلوا عبد الله النديم إلى الأزهر حيث عـــقد اجتماعا حضره حوالى اربعـــة آلاف شخص هاجم فيـــه البعثة التركية والخديو مما عز مركز درويش باشـــا ، واصر المجتمعون على رحيله ولو رفض يقبض عليه ويرحل بالقوة (٤٦) .

اما عن موقف اسعد باشا عضو الوفد العثمانى والمـكلف بالتعامل مع عرابى فقد جمع توقيعات من الأهالى محررة ضـــد الخديو « ومختومة بالفين خاتم » (٤٧) .

استمر انحياز درويش باشا للخـــديو حتى بعـــد ضرب الاسكندرية ويتضح ذلك من رسالة بعث بها عرابى الى احد اصـــدقاء السلطان يشكو من انحياز درويش باشا الى الخديو الذى انحـــاز الى الانجليز « مع انه كان من الواجب على دولته ذمة وديانه ان ينصح الخديو بأن يتوجها معـــاً الى العاصمة مقر الحكومة ليكونا خلف الجيش لا ان يتركا جيش الاسلام الشاهانى وينحازوا الى جيش العدو المحارب (٤٨) .

استمر طلب الخديو للجنود العثمانيين حتى بعد ضرب الاسكنـــدرية ويتضح ذلك من رسالة بعث بها الخديو الى ثابت باشا يقول فيها « وقد رفعت الى الحضرة السلطانية بوساطتكم كما كتبت المرة بعد المرة اصـــف الحالة وجميع مقاصدى منصبه على رفع الأذى عن هذه البلاد السلطانية وتوطيد الأمن فيها ... وهذا يتوقف على قدوم العساكر السلطانية (٤٩).

ويهمنا هنا أن نذكر بأن كلا من بعثتى نظامى ودرويش لم تحضرا الى مصر بنيـــة خالصة بل حضرتا لاثبـــات سلطة تركيا فى مصر دون ان تعمل كلتاها اى عمل نافع لفض النزاع بين العرابيين والخـــديو او لانقاذ مصر من مطامع انجلترا (٥٠) بل تركتا مصر اشـــد ارتبـــاكا واكثر اضطرابا عما كانت عليه ، ويكفى ان نذكر انه لم يكد يمضى على حضور درويش باشـــا الى مصر بضعة ايام حتى وقعت مذبحة الاسكندرية فى ١١ يونية ١٨٨٢ ؛ وفى وجوده ايضا استمر الموقف فى التـــأزم وضربت الاسكنـــدرية بمدافع الأسطول الانجليزى وقـــد زاد موقف تركيا تجـــاه القضـــية المصرية تخبطا

امتناعها فى بادىء الأمر عن الاشتراك فى مؤتمر الآستانة الذى عقد فى عاصمتها فى ١٥ يوليو ١٨٨٢ بغرض المحافظة على الأوضاع الحالية فى مصر وتأييد سلطة الخديو ، وكان امتناعها مبنيا على ان هذه المسألة داخلية بحتة ليس للدول الأوربية شأن بها كما كانت تعتقد ان ايفادها درويش باشا الى مصر سيحل المسألة المصرية وان التحقيقات التى سيجريها ستسوى الموقف مما يغنى عن عقد مؤتمر بشأنها ، ولما أدركت خطأها اشتركت فى المؤتمر آخر الأمر ورضيت بارسال جيش عثمانى الى مصر وفوضت درويش باشا قيادة العساكر العثمانية المقرر ارسالها الى مصر وأبلغت الخديو بذلك (٥١) ولكن فات الأوان بضرب انجلترا للاسكندرية بمدافع الأسطول وارسال قواتها لاحتلال مصر ، وبينما كان الانجليز يتقدمون فى داخل البلاد كانت المفاوضات مستمرة بين اللورد دفرين سفير انجلترا فى الآستانة والباب العالى للاتفاق على خطة ارسال الجيش العثمانى الى مصر وكانت انجلترا تقصد من هذه المفاوضات اطالة الوقت وتعطيل ارسال جيش من تركيا حتى تقمع الثورة فلا يبقى سبب لمجىء ذلك الجيش (٥٢) وفى غضون ذلك استطاعت انجلترا تغيير ميزان المعركة ليس حربيا فقط بل سياسيا أيضا اذ استطاعت نتيجة للمحادثات المكثفة بينها وبين تركيا ، ونتيجة لجهود اللورد دفرين مندوبها فى الآستانة فى الضغط على السلطان (٥٣) فقد ربطت انجلترا موافقتها على ارسال عساكر عثمانية باصدار منشور يتضمن أن عرابى عاص وثائر وان الدولة العثمانية ملتزمة بالمحافظة على الخديو وعلى نفوذه وامتيازاته (٥٤) وقد أصدر السلطان هذا المنشور مما قلب ميزان الحماس الشعبى وأضاع التأييد الاسلامى والعربى للثورة (٥٥) وكان له أسوأ الأثر فى النفوس وقد نشر هذا الاعلان فى جريدة الجوائب(٥٦) كما أرسلت نسخة منه الى عرابى (٥٧) .

استغلت انجلترا هذا المنشور فى اضعاف الروح المعنوية لدى العرابيين فبادرت القوات الانجليزية باذاعة اعلان السلطان بعصيان عرابى أثناء زحفها مما أدى الى ايقاع الفرقة والانحلال فى صفوف العرابيين وانصراف الناس عن تأييد عرابى فى القتال وخصوصا بعد أن تمكن أعوان الخديو وعلى رأسهم محمد سلطان باشا من توزيع

المنشور (٥٨) على الضباط والجنود الذين أحسوا بصدمة عنيفة بعد الاطلاع عليه مما أثر فى روحهم المعنوية وضعفت حميتهم الدينية وسهل على الانجليز دخول مصر (٥٩) .

هذا عن الموقف الرسمى للدولة العثمانية تجاه الثورة العرابية أما عن الموقف الشعبى داخل الآستانة — وخصوصا موقف رجال الدين — فكان فى معظمه بجانب عرابى فالشيخ على أفندى مدرس السلطان والحائز على رتبة الصدر (رتبة دينية) كان يشيد بعرابى ويثنى عليه ويقول عنه « رجل عظيم متدين » (٦٠) والشيخ نجيب أفندى الحائز على رتبة (الصدر) أيضا كان من مؤيدى عرابى والمدافعين عنه لدى السلطان (٦١) كما كان بعض خطباء المساجد بالآستانة يدعون لعرابى على المنابر .

ومما سبق يتضح ان موقف الدولة العثمانية الرسمى تجاه الثورة العرابية ابتداء من بعثة نظامى باشا وحتى اعلان السلطان منشوره بعصيان عرابى كان قائما على أهمية تثبيت السيادة التركية على مصر دون الاهتمام بمصالح مصر ومصيرها ؛ كما أن الدولة العثمانية حينما سنحت لها الفرصة بالتدخل المسلح فى مصر بعد استنجاد الخديو بها خشيت من رد فعل الدول الأوربية وخصوصا انجلترا ازاء ذلك ؛ ولما ترددت تركيا فى نجدة الخديو عسكريا وتباطأت فى اتخاذ مواقف محددة طلب الخديو من الانجليز المعونة وكان له ما أراد مما أتاح لانجلترا فرصة احتلال مصر .

الحـــوائى

(١) دار الوثائق القومية : محافظ ابحاث ــ المحفظة ١١٦ دوسيه ٢ « الثورة العرابية » ترجمه الدفتر ٢٨٧ « البرقيات الواردة من استانبول والصادرة اليها أثناء الثورة العرابية ١٢٩٨ هـ (١٨٨١م) » .

(٢) نفس المحفظه والدوسيه . برقية من الجناب العـالى الخديو الى الباب العالى بتاريخ ١٥ شوال ١٢٩٨ (٩ سبتمبر ١٨٨١) .

(٣) المصـــدر نفسه .

(٤) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتـــلال الانجليزى ، القاهرة ــ النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٤٩ ص١٦٦ .

(٥) محافظ أبحاث ــ المحفظة ١١٦ « البرقيات الواردة من استانبول والصادرة اليها اثناء الثورة العرابية » .

(٦) يقصد جيمس سانوا (يعقوب صنوع) .

(٧) محافظ ابحاث ، المحفظة ١١٦ ترجمة الدفتر نمرة ٢٨٧ عابدين ــ البرقيات الواردة من استانبول والصادرة اليها أثناء الثورة العرابية ــ برقيـــة من الجنـــاب الخـــديو الى البـــاب العالى بتـــاريخ ١٧ شـــوال ١٢٩٨هـ (١١ سبتمبر ١٨٨١) .

(٨) البرقية السابقة الذكر .

(٩) دار الوثائق القومية . دفتر ٢٨٧ عابدين ــ صادر ٧ بتـــاريخ ٧ ذى القعدة ١١٧٨ (٣٠ سبتمبر ١٨٨١) .

(10) Public Record office, F. O. 407/18 No. 45 Earl Cranville to the Earl of Dufferin, September 18, 1881 Telegraphic No. 436.

(١١) الوقائع المصرية : العدد ١٢٢٩ فى ٨ اكتوبر ١٨٨١ .

(١٢) عبر الرحمن الرافعى : المرجع السابق الذكر ص ١٦٥ .

(١٣) عمل ثابت باشا مندوبا للخديو بالاستانة أثنـــاء قيـــام الثورة العرابية واستمر هنـــاك فى المـــدة من شهر ذى الحجة ١٢٩٨ الى صفر ١٢٩٩ وبعد عودته شغل عدة مناصب منها مهردار خديو ثم عين فى نظارتى الداخلية والأوقاف وبعدها شـغل منصب رئيس ديوان الخـــديو ، انظر : دار المحفوظات العمومية : أوراق ربط معاش سعادة محمد ثابت باشـا ــ دولاب ٢٧ عين ٤ محفظة ٥٧٤ دوسيه ١٧٢٠٠ .

الأدارسة في المخلاف السليماني وعسير

أصل الإدريسي ودعوته:

أصل الأدارسة بلاد المغرب، وإنما جاءت قصة وصولهم إلى صبيا[*] في أعقاب هجرتهم إلى مكة في أوائل القرن الثالث عشر الهجرى أى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى حينما رحل السيد/ احمد الادريسى[1] مؤسس الطريقة الادريسية[2] وصاحب المكانة الدينية المعروفة مع بعض أفراد أسرته من فاس بالمغرب إلى مكة المكرمة فى عام ١٢١٤ هـ/ ١٧٩٩م، واتخذها مقاما له حوالى ثلاثين عاما، وتتلمذ عليه فيها العديد من أعلام الاسلام نذكر منهم السيد/ المنوسى والسيد/ الميرغنى والشيخ الرشيدى وغيرهم.[3]

ونظرا لانشغال السيد/ احمد ادريسى بعلم الحديث وبمناظراته المتعددة لعلماء مكة وكبار رجال الدين بها علا شأنه، وبرزت شهرته العلمية ومكانته الدينية، واستحسن العديد من الناس مجالسه كما قام بعض أشراف المقيم لمجالسته للتزود من علمه، والتفقه على يديه، وكان من هؤلاء بعض اشراف "صبيا" و"ابو عريش" الذين دعوه لزيارة بلادهم التماسا لبركته على حد تصورهم، وانتفاعا بعلمه، هنا نجد الادريسى يستجيب لدعوتهم، ويؤسس فى بلادهم مركزا دينيا وفد إليه العلماء من كل صوب، كما وفد إليه العديد من أبناء عسير الراغبين فى التزود بالعلم.

والغريب ان دعوة ابن ادريس لقيت من اشراف وكبراء هذه المنطقة واهلها من الرعاية والتشجيع ما مكنها من الاستمرار، بالرغم من ان طريقته فى التصوف لا تتفق مع موقف امراء عسير المتشدد من الصوفية والمتصوفين والذين كانت بلدان تهامة ومنها صبيا تابعة لهم فى ذلك الوقت، والذين كان من ابرزهم على بن مجثل المغيدى الذى كانت تتبع له هذه البلدان فى العقد الخامس من القرن الثالث عشر الهجرى، وكان من أبرز المناصرين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى عسير والحريصين على نبذ البدع والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله الأمين.

وقد انتهز ابن مجثل فرصة مكاتبة بعض طلاب عسير الذين يتسمون بالغيرة الدينية يشكون له من شطحات ابن ادريس الصوفية فدعا إلى عقد مناظرة بين ابن ادريس الصوفى، وطلاب العلم العسيريين الشاكين منه والمتشبعين بالروح السلفية على ان تكون هذه المناظرة فى حضوره.

(*) شمال شرق جيزان على مسافة ٣٢ كم وجنوب أبها بحوالى مائتى وعشرة كيلو مترات.

(1) يرجع نسبه إلى الامام ادريس بن عبد الله المحض الحسينى بن فاطمة الزهراء رضى الله عنها، وقد ولد فى العرائش من قرى فاس بالمغرب عام ١١٧٣هـ (١٧٥٩م) وأخذ علوم الشريعة من علماء المغرب ومن ابرزهم عبد الوهاب التازى والجندرى وغيرهما، وسلك طريقة الصوفية التى تعرف بالأحمدية نسبة إلى اسمه.
للتفاصيل انظر: نخبة من الأساتذة المصريين: معجم اعلام الفكر الانسانى، المجلد الأول، القاهرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م،ص ٤١ .

(2) هى احدى فروع الطريقة الشاذلية، وتعتبر الطريقة السنوسية فى ليبيا والطريقة الميرغنية فى السودان فرعين لها.

(3) المقطم: السنة الثانية والأربعون فى ١١ ديسمبر ١٩٣٠م.

وبالرغم من خشية ابن مجتل من انتشار الصوفية في بلاده فقد تعاطف مع ابن ادريس ولن لم يقـره على طريقته الصوفية.[٤]

وظل الادريسي مقيما في صبيا يتولى التدريس في حلقته الصوفية حتى وافته المنية في ١١ رجـب ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م) بعد ان ترك لأولاده ثروة مادية ومعنوية هائلة خصوصا وان قبره الذي اعتبره النـاس مزارا كان يدر عليهم الكثير من الأموال فقد حصل ابنه وحفيده على الثروة والمال مـن وراء أهميـة هـذا القبر[٥] بالنسبة للعامة من الناس.

والمعروف أن زيارة القبور للتبرك بالموتى لا تتفق مع تعاليم الاسلام الصحيحة، ولا مـع المبـادئ التي نادى بها الامام محمد بن عبد الوهاب والتي من بينها الابتعاد عن تقديس الأولياء أو جعلهم واسطة بيـن الله و عباده، ولكن نهاية الدولة السعودية المعروفة جعلت بعض الناس ينقلبون بانقلاب الأحوال، وعلى كـل حال فإنه نتيجة اترحيب أهالي صبيا بأبناء الإدريسي وترغيبهم لهم في الاقامة بينهم ألقاه أبناء السيد/ احمـد الادريسي في صبيا[٦] وتناسلوا بها، وعاشوا كأسرة يتمتع أفرادها باحترام الناس وتقديرهم[٧] إذ عاشت أسرته من بعده تتمتع بنفوذ وسلطان عريض يحفها الاجلال الديني مما اكسبها مكانة خاصة، فقد كان الناس يسـعون إلى بابهم أفواجا لتلقين الذكر والتزام الطاعة الواجبة والتوبة مما هم عليه والامتثال لما يقربهم من الله[٨]

نشأة الإدارة الادريسية:

وقد تولى الزعامة بعد السيد/ احمد الادريسي ابنه الأكبر السيد/ محمد الذي توفي في عام ١٢٩٦هـ ثم ابنه السيد/ علي الذي توفي في عام ١٣٢٤هـ وكانت زعامة هؤلاء مجرد زعامة دينية تقوم على أسـاس الفتوى والوعظ ونشر التصوف.

ونظرا لما تعرض له أهالي المخلاف في ذلك الوقت من مظالم على يد العثمانيين نتيجة لفساد الإدارة وانتشار الرشوة، وبعد البلاد عن سلطة الحكومة المركزية، ونتيجة ايضا لانقطاع الصلة بين الحاكم والمحكوم وترك مشاكل الأهالي بلا حلول خصوصا ولن اختلاف اللغة كان يعيق عملية التفاهم بين الحكام العثمـانيين والأهالي كل هذا جعل الأهالي نافرين من الحكم العثماني وثائرين عليه لدرجة أن تطاولت بعض القبائل على الحكومة العثمانية وعلى القوات العثمانية نفسها.

---

[٤] العرب: الجزء الخامس عدد ذو القعدة والحجة ١٤٠١هـ (يونيو وا غسطس ١٩٨٦م) تحت عنوان مناظرة احمد بن ادريس مع فقهاء عصره- تحقيق للدكتور عبد الله ابو داهش، صفحات ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ١٦٥.

[٥] Hogarth: Arabia. Oxford , 1922, P. 120.

[٦] ممن صبيا ثلاثة هم السيد / مصطفى والسيد/ السنوسي والسيد/ العربي وقد حافظ هؤلاء على سلالتهم فلم يتزوجوا من غير بيوت الأكفاء والأقران أما عبد المتعال فقد سافر إلى مصر، وتزوج هناك، واقام في قرية الزينية قرب الاقصر، وقد ولـد لـه عدة أولاد سافر بعضهم إلى بلاد المغرب وتزوجوا من بيت السنوسي وأقاموا في القيروان.

للتفاصيل انظر: امين الريحاني، ملوك العرب، جـ١، بيروت، ١٩٥١، ص ٢٩٧.

[٧] جورج لنطونيوس: يقظة العرب- ترجمة علي حيدر الركابي، دمشق، مطبعة الترقي، ص ١٣٦.

[٨] الاهرام: العدد ٩٥٥٦ بتاريخ ٥ شعبان ١٣٢٧هـ (٢١ اغسطس ١٩٠٩م).

ونظرا لتدهور أحوال منطقة المخلاف الأمنية، وعدم استقرارها لضعف سيطرة الاتراك على ربوعها[٩] عزم السيد/ محمد الأدريسي[١٠] أحد أحفاد السيد/ احمد الادريسي على أن يدعم مركز اسرته الروحي ويطالب لنفسه بنفوذ زمني سياسي يستطيع من خلاله بناء بيت حاكم محرر من سيطرة الأتراك فاستغل ما كانت عليه الدولة من ضعف كما استغل استياء الأهالي من الحكم العثماني، وبقي متحينا الفرص التي يتمكن بها من اثبات مكانته كزعيم على البلاد مستغلا في ذلك ثقافته الواسعة وقدرته الادارية فبدأ يجذب الانظار إليه، ولما كانت القبائل في حالة تنافر وصراع مستمر فيما بينها، رأى الادريسي ضرورة تواجد الوفاق فيما بينها، وتوحيد صفوفها لمواجهة العثمانيين.

وعندما قامت الحرب بين قبيلتي صبيا والجعافرة[١١] في عام ١٣٢٠هـ بذل جهوده في اخماد الحرب بين هاتين القبيلتين عن طريق الصلح والتفويض، والاحتكام إلى الشريعة الاسلامية، ولما نجح في ذلك برزت مكانته، وبدأت الأنظار تتجه إليه، وزادت شهرته بعد أن قبض على بعض الأشخاص المجرمين في صبيا الذين ضج الناس من أفعالهم ونفذ فيهم حكم الاعدام، كما قطع رؤوس ثلاثة أشخاص قصاصا، وأيدى أربعة عشر حدا من بندر جازان [١٢] هذا بالاضافة إلى انه عالج موضوع مسألة الدماء السابقة بين القبائل فأعلن اسقاط حقوق الأخذ بالثأر برضى جميع القبائل، وأزال ما بين الأهالي من تنافس وأحقاد، وخلصهم من جميع الضرائب واقتصر على أخذ الزكاة الشرعية منهم، كما أمر بأن يكف النساء عن الاختلاط بالرجال.

كل ذلك رفعه في أعين الناس وقربهم إليه[١٣] خصوصا وأن الحكومة العثمانية كانت لا تهتم براحة الناس ولا بأمنهم، كما أنها كانت معزولة عن الأهالي، وصلتها بهم كانت مقصورة على جبايته الضرائب والقيام ببعض المهام العسكرية، ومن هنا وجد الناس في الأدريسي المنقذ والمخلص لهم مما يعانونه من فوضى واهمال، فبالغت العديد من القبائل في تقديره كما بايعته قبائل صبيا والحسيني والمخلاف السامي

---

[٩] أوضح السيد/ محمد الادريسي ذلك في خطاب مؤرخ ٩ رجب ١٣٣٧هـ/ يوليو ١٩٠٩م، كان قد أرسله إلى أحد أصدقائه بالقاهرة قال "ان الفوضى كانت ضاربة أطنابها في هذه البلاد عند وصوله إليها، وأن الانسان كان لا يأمن على حياته ناهيك بماله، وصل الحال إلى درجة أن الانسان لا يولع (يوقد) سراج بيته في الليل مخافة من عدو مراقبة فيبصره على النور فيضربه بالرصاص".

الأهرام، العدد ٩٥٥٦ في ٥ شعبان ١٣٢٧هـ/ ٢١ اغسطس ١٩٠٩م، وايضا سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٣، ص ٨٢.

[١٠] ولد في صبيا عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، وتعلم في الأزهر بالقاهرة، وتتلمذ على يد السنوسيين بعض الوقت في برقة، كما ذهب إلى السودان وأقام بدنقلة، وتزوج بابنة الشيخ هرون الطويل، شيخ الطريقة الأحمدية هناك قبل أن يستقر في صبيا ويدبر أمورها.

Toynbee, Arnold J, Islamic World, Survey of International Affaris, Vol 1, London 1927, P. 276,

وأيضا ملوك العرب للريحاني، جـ١، ص ٢٩٨.

[١١] اسم قبيلة معروفة من قبائل المنطقة تمتد مواطنها من جريبة إلى المقاربة في ساحل جازان.

انظر: عبد الرحمن البهكلي: نفح العود في سيرة الشريف حمود- تحقيق: محمد العقيلي، الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٩٠

[١٢] اسماعيل بن محمد الوشلي التهامي: من تأريخ اليمن الحديث: (ذيل) نشر الثناء الحسن المنبئ ببعض حوادث الزمن من الغرائب الواقعة في اليمن- تحقيق محمد الشعيبي. صنعاء، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٤٤.

[١٣] محمد بن احمد العقيلي: مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير، المملكة العربية السعودية، نادي أبها الأدبي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ٣٢.

والجعافرة اماما على المخلاف السليماني، أما القبائل التى لم تبايعه فقد أدخلها تحت نفوذه بالقوة، وأخذ البيعة من زعمائها، كما أخذ منها عددا من الرهائن ليضمن ولاء تلك القبائل له.

ونتيجة لذلك انتشرت صولة الادريسى إلى "جيزان" و "النضير" و"شدا" و"ضيعة بن غفلان" مما يلى "رازح" ثم إلى حدود "قلله" حيث ذهب إليها واحتلها على رأس حملة قبائلية[١٤]. يضاف إلى ذلك أن الادريسى استطاع أن ينشر دعوته خارج المخلاف حيث اعتنقت بعض قبائل صعدة تعاليمه[١٥] وبدأ يجمع من عشائرها عدة أفخاذ وبطون تحت لوائه.

وبعد أن استتب الأمر للأدريسى أحل الأمن فى هذه المناطق محل الفوضى والاضطراب، وعمل على تنظيم حياة البدو من النواحى القضائية والادارية والاقتصادية فوضع على رأس كل قبيلة من القبائل التابعة له قاضيا وأميرا من قبله بحيث يقوم الأول بالنظر فى شئون الأهالى، بينما يقوم الثانى بالنظر فى شئونهم الادارية والحربية ويجمع الزكاة، وقد أخذ على هؤلاء العهود والمواثيق على القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأحياء العلوم والمدارس وإقامة الشريعة اجراء الحدود.[١٦]

كما نظم الادريسى امور الموانى التابعة له فجعل فى كل ميناء جمركا[١٧] له عمال وموظفون من قبله لاستيفاء الرسوم الجمركية على الواردات والصادرات، وقد حرص الادريسى على أن تكون هذه الرسوم أقل مما كانت عليه خلال الحكم العثمانى لهذه المنطقة حتى يظهر للناس عدالته وتميزه عن العثمانيين وبالاضافة إلى ذلك كون الادريسى فى صبيا أول مجلس للحكم من اربعة اشخاص وأقام محكمة من خمسة أعضاء [١٨] وعين وكيلا له كان بمثابة "رئيس الحجاب" أو "الصدر الاعظم" كما عين امينا للمال كان دوره بمثابة دور وزير المالية فى الوقت الحالى [١٩] ولكن هل يعنى ذلك أن الأمور استقرت للادريسى تماما وأصبحت القبائل كلها طوع إرادته؟

الواقع أن الأحداث اثبتت عكس ذلك فبعض القبائل مثل قبائل بنى مروان وأشراف حرض كثيرا ما ثاروا على الأدراسة ورفضوا دفع الزكوات المقررة عليهم، وطردوا عمال الادريسى من بلادهم، والتجاوا أحيانا إلى صنعاء طلبا للحماية. ويؤكد ذلك قيام الادريسى بحملات تأديبية على هذه القبائل وردها إلى طاعته. [٢٠]

---

[١٤] احمد حسين شرف الدين: اليمن عبرالتاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، ص ٢٧٣.

[١٥] السيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص ٨١.

[١٦] الوشلى: مصدر سابق، ص ١٩٣.

[١٧] هى موانى "ميدى" و "الشقيق" و "حبل" و"بركة" و "الغور".

[١٨] مبارك محمد الحرشنى: النظم الادارية والمالية فى تهامة عسير خلال الاشراف السعودى، جدة ١٤٠٥هـ، ص ٥٨.

[١٩] السيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص ١٥٧.

[٢٠] الوشلى: مصدر سابق، ص ٧.

وبالرغم من علو شأن الادريسى فإن العثمانيين لم يهتموا بأمره فى بداية ظهوره، فقد اعتبروه احد رجال الدين المتصوفين الذين سرعان ما ينطفئ نجمهم خصوصا وانه ليس لأسرته نسب راسخ فى المنطقة التى يحكمها.

وعلى كل حال فلكى يؤكد الادريسى وجوده فى منطقة المخلاف ثار على الحامية التركية الموجودة فيها فى عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م وخاض حربا مريرة معها مستغلا فى ذلك نفوذه الدينى على الأهالى حتى استطاع أن يؤسس امارة مستقلة له. (٢١)

والسؤال الذى يطرح نفسه هو إذا كان الادارسة اغرابا عن هذه المنطقة وليس لهم فى أرجائها خؤولة أو عمومة أو عصبية توطد اقدامهم إذا تحزب الأمر ضدهم فكيف دانت لهم الأمور فى منطقة المخلاف السليمانى وعسير؟

الواقع أن النفوذ الدينى الذى كان يتمتع به أفراد هذه الأسرة هو كل ما يملكونه فى هذه البلاد فقد انجذبت إليهم قلوب الناس بعد أن ملئت البلاد ظلما والدليل على ذلك أنه كان يرد إلى السيد/ محمد الادريسى يوميا ما بين أربعة وخمسة آلاف شخص يصلون معه المغرب والعشاء ثم يستمعون إليه وهو يخاطبهم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ويحثهم على اتباع قواعد الدين الصحيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى أن يمضى من الليل أكثره.

ولكى يؤكد الادارسة قدرتهم الدينية كانوا يظهرون امام الناس بأنهم من اصحاب الكرامات والمعجزات ومما يروى فى ذلك ما ذكره صاحب المخلاف السليمانى ان الادريسى كان يطلى وجهه بمادة الفوسفور، ويخرج على زواره ليلا ليبهرهم بتألق وجهه نتيجة للمادة الفسفورية التى يضعها عليها، وانه كان أحيانا يحضر سلكا كهربائيا يلفه على حبل يمده إلى من يصافحه فتهتز يده هزا شديدا فيظن المصافح أن الادريسى من الأولياء أصحاب الكرامات. (٢٢) وهذا ان صح لا يتفق مع تعاليم الاسلام الصحيحة ولا مع المبادئ التى نادت بها الدعوة السلفية بنبذ البدع والعدول عن الاعتقاد فى قدرة الأولياء على الاتيان بالأمور الخارقة للعادة.

ولما تعاظم أمر الادارسة حاولت الدولة العثمانية مواجهة الموقف معهم فأرسل إليهم السلطان محمد رشاد خان وفدا لمناصحتهم كان من بين أعضائه سليمان شفيق باشا متصرف عسير، وقد سار خلف هذا الوفد جيش كبير بقيادة سعيد باشا.

---

(٢١) مديحة درويش: العلاقات السعودية المصرية ١٩٢٤-١٩٣٦، رسالة دكتوراه غير منشورة ١٩٧٨م، مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٥٥٦، ص ٣١٧.

(٢٢) محمد بن احمد العقيلى: تاريخ المخلاف السليمانى، جـ١، الرياض، دار اليمامة، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٦٧٨

ولكى يؤكد الادريسى قوته أمام هذا الوفد وقدرته على مواجهة الأمور استدعى من القرى المجاورة لصبيا نحوا من اربعة آلاف رجل مسلحين[٢٣] لاستقبال اعضاء الوفد ظاهرا، وان كانت الحقيقة انه أراد ان يثبت امامهم أن لديه قوة قادرة على حمايته. وفى نفس الوقت استطاع الادريسى بما يتمتع به من ذكاء اخفاء نواياه فأوضح الوفد أنه "لا طمع له برياسة، وان القبائل اعتادت أن تلجأ إليه برضا منها لحل ما بينها من مشاكل، وانها تطلب منه أن يسعفها بالمرشدين لازالة ما بينها من ضغائن"[٢٤] . وأنه لا هدف له سوى اصلاح الادارة والمحافظة على الأمن، وأنه يعمل لاجل مصلحة الدولة دون أن تكون له مصلحة سوى ما يرجوه من ثواب الآخرة ولكن المأمورين يحرفون الكلام عن مواضعه، ولما سأله الوفد عما أجراه من القصاص بغير أمر السلطان قال "اجريناه بمقتضى التراضى عليه من الجانى أولياء المجنى عليه وللمصلحة العامة فى ذلك"[٢٥] فاقتنع الوفد بأقواله وأعرض عنه صفحا، وفوضه فى بعض المهام التى كانت سببا فى ازدياد نفوذه بين القبائل[٢٦] منها أن يرسل الادريسى إلى القبائل من المرشدين ما يحل مشاكلهم صلحا بشرط أن يصحبهم موظف من قبل متصرف عسير ومنها الغاء الضرائب المفروضة من جانب الحكومة العثمانية على أهالى المنطقة والاكتفاء بما يحصل منهم من زكاة شرعية[٢٧] وبذلك تمكن الادريسى من الحصول على اعتراف الحكومة العثمانية بهيمنته على المنطقة وتم سحب الفرقة العسكرية التى ارسلت من الاستانة إلى عسير وبعد أن نجح الادريسى فى توطيد مكانته فى المنطقة التى امتدت إلى البرك شمالا وإلى الموسم جنوبا عمد إلى تشكيل هيكل ادارى ثابت قوامه الوزراء والقضاة وقادة الجيش، فشكل وزارة من أربعة وزراء أولهم يحيى زكرى حكمى الذى كان بمثابة الوزير الأول الذى يرافق الادريسى فى كل جولاته، والثانى كان يحيى عوض باصهى الذى اختص بالشئون المالية فكان يشرف على كل ما يتعلق بالصادرات والواردات والثالث كان حمود بن سرداب الحازمى الذى اختص بالاتصال بالقبائل وفض المنازعات فيما بينها كما كان بمثابة المسئول عن اعداد الجيوش. اما الوزير الرابع فكان محمد طاهر رضوان الذى كان عليه قيادة الجيوش فى المعارك.

وإلى جانب ذلك أنشأ الادريسى محكمة شرعية فى صبيا وعين مديرا للشرطة، ومحتسب لمراقبة الاسواق والحفاظ على الاخلاقيات والقيم والحث على أداء الصلاة فى أوقاتها. [٢٨]

---

[٢٣] محمد بن احمد العقيلى: مذكرات سليمان شفيق باشا، ص ٣٨.
[٢٤] نفسه.
[٢٥] الوشلى: مصدر سابق، ص ٨٩.
[٢٦] المقتطف: الجزء الخامس من المجلد الثانى والثمانين بتاريخ أول مايو ١٩٣٣.مقال للاستاذ فؤاد حمزة تحت عنوان "اشراف بلاد العرب- اشراف ابو عريش وآل عائض والأدارسة"، ص ٥٤٧.
[٢٧] مبارك الحرشنى: مرجع سابق، ص ٥٩.
[٢٨] نفسه، ص ٦٠-٦١.

والسؤال الذى يطرح نفسه هو هل تم ازالة الخلاف بين الادريسى والدولة العثمانية بعد هذه المقابلة؟ الواقع أن سليمان باشا متصرف عسير ظل يشكو فى مذكراته مر الشكوى من لجوء الادريسى لكافة الطرق لتقوية نفوذه على حساب الدولة العثمانية، ومن ذلك أنه كان يرسل رجاله إلى القبائل دون علمه ومنها رفضه تسليم الفارين من وجه العثمانيين إلى صبيا بحجة أن تسليم الدخيل ليس من عادات العرب، ومنها دعوته إلى رجال القبائل بعصيان الحكومة والتمرد عليها.

ونظرا لفقدان الثقة بين الطرفين أخذ الادريسى أهبته للزحف على أبها مركز القيادة التركية فى ذلك الوقت، وقاعدة المتصرفية فأرسل بمنشوراته إلى القبائل يدعو فيها كل قبيلة إلى الزحف على أبها[٢٩] فى عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م وشدد الادريسى الحصار على أبها، ولكن متصرفها العثمانى سليمان شفيق كمالى استطاع تحصين المدينة بإقامة الخنادق والسدود فى منافذ أبها الخارجية حتى أصبحت البلدة عبارة عن قلعة، ولما قامت قوات الادريسى بالهجوم على أبها لم تجد الأمر سهلا، فظلت تحاصر المدينة حوالى سبعة شهور أكل الجيش العثمانى خلالها الهرر والكلاب ونتيجة لتفاقم الموقف حاولت الدولة العثمانية التفاوض مع الادريسى فأرسلت بعض مندوبيها إليه، غير ان الادريسى اعرض عنهم ورفض مفاوضتهم.[٣٠] واستمرت قواته فى حصارها، حتى استطاعوا زحزحة العثمانيين عن بعض مواقعهم، ونتيجة لذلك ارسلت الدولة العثمانية حملة قوية لفك حصار أبها شارك فيها كل من شريف مكة الذى كانت له قرابة خؤولة فى عسير، فانخرط الأهالى فى سلك طاعته ولم يبق فى طاعة الادريسى سوى قبيلة زهران فى شمال عسير[٣١]، ونتيجة لذلك انسحب الادريسى إلى المرتفعات، وكله تصميم على استخلاص كل مناطق عسير من الأتراك أو اجبارهم على الاقل على الاعتراف بوضعه فيها.

تحالف الادريسى مع ايطاليا وبريطانيا ضد الدولة العثمانية:

وبعد اعلان الحرب بين ايطاليا والحكومة العثمانية عام ١٣٢٩هـ،١٩١١م بسبب الأطماع الايطالية فى ليبيا استغل الادريسى الموقف لصالحه، ونجح فى تشديد قبضته على المناطق التى تحت سيطرته كما اتفق مع الحكومة الايطالية على ان يقف بجانبها ضد العثمانيين فى نظير أن تمده بما يحتاج إليه من المال والذخيرة والعتاد، هذا فى الوقت الذى كان يجب عليه مساندة السنوسيين المسلمين فى ليبيا خصوصا وأن جده كان على اتصال بهم، كما أنه تتلمذ على يديهم بعض الوقت يضاف إلى ذلك أنه فى الوقت الذى انتاب فيه العالم الاسلامى موجه من الحماس لمساندة لمقاومة الليبية ضد العدوان الايطالى البشع الذى هدد وجود

---

[٢٩] مذكرات سليمان شفيق، ص ٦٤.
[٣٠] نفسه، ص ٦٩.
[٣١] اسماعيل الوشلى: مصدر سابق، ص ٩٥.

الاسلام داقه فان الادريسى استعان بالاسطول الايطالى لطعن الدولة العثمانية خلال محنتها. كل ذلك يجعلنا نتساءل عن الأسباب التى دفعت الادريسى إلي ذلك.

الواقع ان الادريسى كان يحاول تثبيت أركان حكمه فى المناطق التى يحكمها، ولما كان ذلك لا يستمر الا بمساندة قوى خارجية فقد استعان بالايطاليين لتحقيق طموحاته دون أن يفطن لمخاطرهم واستطاع بدعم منهم ان يستحوذ على ميناؤى جيزان وميدى [٣٢] ولما استنفذت اغراض الايطاليين معه تخلوا عنه مما جعله ينتقل إلى الانجليز، فعقد علاقات صداقة مع الحكومة البريطانية وكان أول حاكم عربى يتحالف مع الانجليز صراحة وأول من حمل السلاح ضد الدولة العثمانية[٣٣] . كما أن السؤال المطروح هنا أيضا هو ما هى مصلحة كل من ايطاليا والانجليز فى التحالف مع الادريسى ومساندته؟

الواقع أن ايطاليا كانت تتطلع إلى فرض سيادتها على اليمن وعسير، وأحكام قبضتها على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر بعد أن استولت على اريتريا، يضاف إلى ذلك أن عداء كل من الادريسى وايطاليا للدولة العثمانية قد جمع بينهما، ومن هنا استفادت ايطاليا من ارتباطها بالادريسى فى زعزعة وأضعاف الموقف العثمانى فى المفاوضات التى جرت بين العثمانيين والايطاليين، وأدت إلى استيلاء ايطاليا رسميا على طرابلس الغرب. [٣٤]

أما عن انجلترا فقد ساندت الادريسى لاعتقادها بأنه سيكون سندا لها ضد العثمانيين فيمنعهم من استخدام موانى البحر الأحمر ويدعم مركزهم فى الجنوب.

وهنا يحق لنا ان نتساءل كيف يقف شخص مسلم متدين مثل الادريسى بجانب دولة أجنبية مثل ايطاليا سفكت دماء المسلمين فى ليبيا واستباحت اعراضهم فى الوقت الذى كان يجب عليه مؤازرة الدولة العثمانية التى كانت تقف فى موقف المدافع عن العالم الاسلامى؟

لقد برر الادريسى موقفه بأن الدولة العثمانية كانت كثيرا ما تنكث عهودها معه، فكثيرا ما اتفقوا معه ثم نقضوا عهودهم كلما واتتهم الفرصة، كما أوضح ان قلة تدين الأتراك جعل البدو ينفرون منهم[٣٥] هذا إلى جانب رغبته فى أن تكون عسير للعسيريين لا للعثمانيين ولا لغيرهم ومن هنا لجأ إلى الأجانب لتخليصه من الأتراك، وهذه الطريقة كثيرا ما كانت تمارسها الكيانات التى لا جذور لها ولا مقومات. [٣٦]

ويمكننا أن نضيف إلى جانب ما ذكره الادريسى انه بعد أن تولت جمعية الاتحاد والترقى الحكم فى الدولة العثمانية، بدأت حركة التتريك التى اساءت كثيرا إلى الولايات غير التركية التابعة للدولة، كما تزايد

---

[٣٢] مبارك الحرشنى: المرجع السابق، ص ٤٢.

[٣٣] أمين الريحانى: ملوك العرب، جـ١، ص ٢٩٨، وانظر أيضا:
Hurewitz: J.C: Diplomacy in the Near And Middle East, Vol2, P.12.

[٣٤] مبارك الحرشنى. مرجع سابق، ص ٤٢.

[٣٥] سيد مصطفى سالم. مرجع سابق، ص ١٠٠، ١٥٨.

[٣٦] نفس المرجع

اهمال شئون العرب، هذا بالاضافة إلى رفض العثمانيين الاعتراف بوضع الادريسى على النقيض مما فعلوا مع الامام يحيى الذى تصالحوا معه واعترفوا به يضاف إلى ذلك رغبتهم فى القضاء عليه كل ذلك دفعه إلى الانحياز للايطاليين ثم إلى الانجليز بعد ذلك. وإذا كان ذلك كذلك فهل كان الرأى العام الاسلامى فى منطقة المخلاف السليمانى وعسير راضيا عن انضمام الأدارسة للأجانب.

الواقع أن الرأى العام فى هذه المنطقة كان غير راض عن هذا التحالف بل كان متعاطفا مع العثمانيين بصفتهم مسلمين[٣٧]، ومن هنا حرص الأدريسى على عدم اظهار علاقته مع البريطانيين والايطاليين أمام مواطنيه حتى لا يتأثر مركزه الدينى لدى أتباعه نتيجة لاتصاله وتحالفه مع غير المسلمين.[٣٨] ولكن هذه الأمور تغيرت نتيجة لانضمام الدولة العثمانية الى المانيا التى كانت تحارب من أجل التوسع الاستعمارى.

وعلى كل حال فقد عظم شأن الادريسى بعد أن نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وايطاليا حيث أصبح لديه الكثير من الأسلحة والذخيرة خصوصا بعد أن اغرق الايطاليون بواخر خفر السواحل العثمانية، واستولوا على ما فيها من سلاح أعطوا الكثير منه للأدريسى. [٣٩].

وهنا أيضا نتساءل هل كانت كل قوات الادريسى من رجال المخلاف السليمانى أم أنه استعان بقوات أخرى؟

الواقع أنه بعد ان ثقل العبء على رجال قبائل المخلاف السليمانى رأى الادريسى تخفيف الضغط عنهم بالاستعانة بغيرهم من رجال القبائل الأخرى عن طريق اغداق الهدايا والأموال عليهم فنشط فى استمالة بعض قبائل عسير، ونجح فى ذلك إلى حد كبير لدرجة أنه "استقبل فى جيزان مائتى مندوب عن قبائل عسير"[٤٠]. يضاف إلى ذلك ان الادريسى تمكن من تجنيد قبائل "يام" و "حاشد"، و"بكيل" وعين لهم قائدين من رجال المخلاف هما منصور بن حمود أبو مسمار، وأحمد عبد الله المهوانى، كما استعان الادريسى بجنود مرتزقة من الصومال شكل منهم حرسه الخاص لفترة، ولكن نظرا لعدم تألفهم مع الأهالى قام بتوزيعهم على المراكز التابعة لها [٤١] وأناط بهم مهمة أعمال الشرطة والحراسة.

وظل الادريسى يعمل على تدعيم قواته فأعاد تحصين الموانى التى فى حوزته، ووضع فيها المدافع الكبيرة وساعده على ذلك سهولة اتصاله بالقوى المسيطرة على البحر الأحمر كايطاليا وبريطانيا كما كان

---

[٣٧] مبارك الحرشنى: مرجع سابق، ص ٤٢.
[٣٨] فاروق أباظة: عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦، ص ٦٢١.
[٣٩] سيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص ١٨٢.
[٤٠] فاروق اباظة: مرجع سابق، ٦٢٢.
[٤١] نفسه ، ص ٥٨٤.

يساعد من اسراء من العثمانيين، وخاصة ممن كانت لهم خبرة فى المدفعية لتدريب جنوده، ورفع كفايتهم الحربية.

فشل المفاوضات بين الادريسى والدولة العثمانية:

وظل موقف العداء مستحكما بين الادارسة والعثمانيين إلى أن اعلنت الدولة العثمانية عن رغبتها فى المفاوضات مع الادريسى فقبل، وفتح باب المفاوضات معهم، ولكنها لم تسفر عن نتيجة إذ كان العثمانيون يرون الاعتراف بوضع الادريسى الخاص فى أمارته، وصرف مرتب شهرى له من الدولة فى مقابل ان يقدم الطاعة والولاء للامام يحيى وأن يتخلى عن تحالفه مع أعداء الدولة فى حين كان الادريسى يتمسك بالمطالب التالية:

١-الاستقلال الادارى التام لامارته، مع الاعتراف بسيادة الدولة العثمانية.

٢-عدم تدخل الدولة العثمانية فى شئون موظفيه ورجاله.

٣-ان يتكون علم الادارسة من الهلال والنجمة مع كلمة التوحيد من جهة وعبارة محمد رسول الله من الجهة الأخرى.

٤-ان يكون الجنود من أبناء المنطقة المحليين.

٥-ان يكون تنظيم الجمارك والمعاهدات التجارية من حق الادارسة.

٦-ان تطبق فى البلاد احكام الشريعة الاسلامية ، وتكون اللغة العربية هى اللغة الرسمية فيها.

٧-ان تكون السكك الحديدية ومصلحة التلغراف وغيرها من المنافع العامة فى قبضة الادارسة وتابعة لاشرافهم.

٨-أن يصدر بهذا الاتفاق فرمان سلطانى ترسله الاستانة إلى عسير على سفينة حربية وفى يد مندوب عال، ويقرأ فى احتفال عام يختار الادريسى مكانه. هذا إلى جانب بعض البنود الخاصة بالمسائل الفرعية وغيرها.[٤٢]

وعند تحليلنا لوجهتى نظر كل من الطرفين يتضح الآتى:

- أن الجانب العثمانى لم يكن موفقا فى شرطه تقديم الأدريسى الطاعة للأمام يحيى خصوصا وهو يعلم ما بين الطرفين من مشاكل وصراعات سياسية ومذهبية هذا إلى جانب أن الأدريسى خلال فترة المفاوضات كان نفوذه قد انتشر انتشارا هائلا وانتظمت احواله وتسلحت رجاله.

---

[٤٢] المنار: المجلد ١٦، جـ٦، ص ٤٧٠، وسيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص ١٨٥.

- أما عن شروط الادريسى فقد كانت قاسية ومن الصعوبة على الدولة العثمانية قبولها خصوصا وأنها كانت تخشى أن يظهر فى اطراف اركانها المترامية مئات مثل الادريسى يدعون بأنهم اصحاب حقوق فى بقعة ما من الدولة، لذلك كان من الطبيعى ان تفشل المفاوضات وتعود حالة العداء إلى ما كانت عليه.[٤٣]

ومع ذلك فإننا نقدر للادريسى موقفه فى اشتراطه ان تكون اللغة العربية هى لغة التعليم والقضاء والادارة فى الاتصالات مع الاستانة، وفى أن تكون أحكام الشريعة الاسلامية هى الأحكام المطبقة فى امارته، فقد كان الادريسى فى مطالبه هذه جسورا وموقفه يدعو إلى الاعجاب.

وعلى كل حال فانه نتيجة للصلح الذى تم بين العثمانيين والامام يحيى اهتز مركز الامام امام عامة اليمنيين فى الوقت الذى اشتد فيه نفوذ الادارسة فى منطقة المخلاف السليمانى وعسير، ويرجع ذلك إلى ان القبائل اليمنية التى كانت قد اتخذت من الحرب مهنة وعملا لم ترض عن هذا الصلح، والتفت حول الادريسى الذى استمر على عدائه للعثمانيين وواصل الحرب ضدهم يضاف إلى ذلك ان بعض اتباع الامام خصوصا من افراد قبلية حاشد التى كانت يعتمد عليها الامام اعتمادا رئيسيا التفوا حول الادريسى وبايعوه واصبحوا من جملة عسكره. كل ذلك شجع الادريسى على اظهار العداء للعثمانيين ومواصلة الحرب ضدهم. [٤٤]

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى اقامت بريطانيا خطتها تجاه الدولة العثمانية على اساس التحالف مع اعدائها فى المنطقة. ومن هنا ركز الانجليز انظارهم على الادريسى مستغلين كراهيته للعثمانيين ، فمع انه لم يكن فى استطاعته المشاركة فى مجهودات الحرب، ولم تكن له قيمة عسكرية الا فى نطاق حدوده المحلية فقد حاول الانجليز ضمه إلى صفوفهم خصوصا وانه كان يستطيع ان يشل حركة القوات العثمانية نظرا لأنه يتحكم فى منطقة ساحلية هامة على ساحل البحر الأحمر يمكن عن طريقها وضع القوات العثمانية المرابطة فى اليمن بين فكى كماشة أى بين عسير وعدن، كما أنه بامكانه ان يعطل المواصلات العثمانية بين الحجاز واليمن، وان يهدد العثمانيين إذا ما هاجموا عدن، هذا بالاضافة إلى تمكنه من منع العثمانيين من استخدام سواحل البحر الأحمر كقواعد معادية ضد أساطيل الحلفاء فى جنوبى البحر الأحمر. [٤٥]

ومن هنا رحبت بريطانيا بالتفاوض مع الادريسى، ورحب الادريسى من جانبه بالتفاوض مع بريطانيا توطئه للتحالف معهم لمحاربة الاتراك ونتيجة لذلك اصدرت الحكومة البريطانية اوامرها إلى المقيم السياسى البريطانى فى عدن تطالبه بسرعة العمل على عقد معاهدة صداقة مع الادريسى. ونتيجة لذلك دارت

---

[٤٣] نفسه.

[٤٤] فاروق اباظة: الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢-١٩١٨ بيروت، دار العودة، ١٩٧٩م، ص ٢٩٥.

[٤٥] سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس: البحر الاحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ١٩٨٠، مقال للدكتور/ محمد السروجى تحت عنوان "موقف بريطانيا فى البحر الأحمر فى الحرب العالمية الأولى"، ص ٤٩٧، وأيضا جلال يحيى: الثورة العربية: القاهرة، دار المعرفة ١٩٥٩، ص ١٣٠.

المفاوضات بين الطرفين، حاول الادريسى خلالها الحصول على الاسلحة والاموال من بريطانيا، فى حين رغب الانجليز فى التحالف معه لمساندتهم ضد اى محاولة عدائية يقوم بها الامام يحى.(*)

وانتهت فى ٣٠ ابريل ١٩١٥ بمعاهدة يتضح منها معالم السياسة البريطانية فى منطقة البحر الأحمر خلال الحرب العالمية الأولى فقد كان جل هدفها محاربة النفوذ العثمانى المنافس لها فى هذه المنطقة.

وفيما يلى نستعرض ملخصا لأهم بنود المعاهدة:

١-ان الأهداف الرئيسية لهذه المعاهدة هى شن الحرب ضد العثمانيين وتعزيز ميثاق الصداقة بين السيد الادريسى ورجال قبائله وبريطانيا.

٢-يوافق السيد الادريسى ان يشن الهجوم ويحاول طرد العثمانيين من قواعدهم فى اليمن، وان يضايق القوات العثمانية فى اليمن باقصى قوته، ومن ثم يوسع رقعة امارته على حساب العثمانيين.

٣-ان هدف السيد الادريسى الأول ضد العثمانيين فحسب ولا يمس ما يثير الخصومة والعداء مع الامام يحيى الذى لم يمد يده فعلا للعثمانيين.

٤-تلتزم الحكومة البريطانية بحماية امارة السيد الادريسى ضد اى هجوم بحرى يشنه أى عدو لضمان الاستقلال بامارته، وتتعهد بريطانيا بان تتخذ جميع الوسائل الدبلوماسية للنظر فى المشاكل التى تنشأ بين السيد الادريسى والامام يحيى وبين أى منافس.

٥-ليست لدى حكومة بريطانيا اى رغبة فى توسيع حدودها فى غرب الجزيره العربية ، ولكنها لا ترغب إلا ان ترى مختلف حكام العرب يعيشون معا فى سلام، كل فى نطاق امارته، ولكهم يحتفظون بصداقة الحكومة البريطانية.

٦-ان الحكومة كدليل منها على تقدير العمل الذى سيقوم به السيد الادريسى امدته بالمال والمعدات الحربية، وستستمر فى تقديم العون له فى الحرب طيلة مدة اشتراكها بقدر النشاط الذى يقوم به السيد الادريسى.

٧-انه فى الوقت الذى تعرض فيه بريطانيا الحصار على الملاحة فى جميع الموانى العثمانية فى البحر الأحمر منذ عدة اشهر فقد اعطت السيد الادريسى الحرية الكاملة فى الملاحة والتعامل التجارى بين موانئه وعدن، وان بريطانيا اذ تقدم هذا الامتياز رمزا للصداقة القائمة بينها تتعهد بأن هذا الامتياز سيستمر ولن يتعرض للتوقف. (٤٦)

وهكذا اتفقت بريطانيا مع الادريسى على محاربة العثمانيين واستفاذ قوتهم، ومنعهم من استخدام الموانى اليمنية ضد مصالح بريطانيا فى مقابل أن تتعهد بريطانيا بمساعدته عسكريا وماديا حتى يستطيع

(*)Hurewitz, J.C. op.cit, vol 2 , p. 12.

(٤٦)محمد بن احمد العقيلى: تاريخ المخلاف السليمانى، ج٢، ص ٧٣٣-٧٣٤، نقلا عن جريدة عكاظ، العدد ٣ بتاريخ ١٩٧٩/١٢/٢٤.

المحافظة على بلاده كما تسمح لسفنه بالمرور فى البحر الأحمر والاتجار مع ميناء عدن[٤٧] ، وبموجب هذه المعاهدة امدت بريطانيا الادريسى بكميات كبيرة من الاسلحة والذخائر، ونظرا لأن الادارسة كانوا يفضلون استعمال الاسلحة التى كانت ايطاليا قد امدتهم بها من قبل لخبرتهم بها وقدرتهم على استعمالها[٤٨] فقد طالب الادريسى بريطانيا امداده بكميات من الذخيرة التى يمكن استخدامها بواسطة البنادق الايطالية مما اوقع الانجليز فى مأزق خصوصا بعد أن اعربت ايطاليا عن عدم قدرتها على توفير مثل هذه الذخيرة ولهذا قامت بريطانيا بالاتصالات اللازمة مع الحكومة الفرنسية لاجابة مطالب الادريسى وتزويده بالاسلحة والذخائر اللازمة لقواته. [٤٩]

ونتيجة لتسليح الادارسة بالذخائر المناسبة قاموا فى مايو ١٩١٥ بمهاجمة "اللحية" تحت قيادة مصطفى ابن عبد المتعال الادريسى الذى قسم جيشه إلى قسمين قسم برئاسة احمد الحازمى وتوجه بمحاذاة الساحل إلى ميناء اللحية، والقسم الآخر وكان يقوده الحسن بن احمد بن مسمار وتوجه إلى "دير حسين".

ونظرا لعدم قدرة جيش الادارسة على اقتحام ميناء اللحية قام الاسطول البريطانى بضرب هذا الميناء من البحر تأكيدا من بريطانيا لمساعدتها للادريسى [٥٠]، وبذلك تمكن الادارسة من الاستيلاء على ميناء اللحية واتخذوه مركزا لقيادتهم كما نجح الحسن بن مسمار فى الاستيلاء على "دير حسين" ولكن ذلك لم يستمر طويلا حيث ثارت حفائظ العثمانيين على الادريسى واستطاعوا التقدم إلى معسكر الادارسة فى "دير حسين" والاستيلاء على ما فيه من اسلحة وذخائر [٥١] كما استطاعوا الاستيلاء على معسكر "العطن" واستعادة ميناء "اللحية" مما دفع قائد الادارسة إلى الالتجاء للاسطول البريطانى الذى صب نيران مدافعه على ميناء اللحية للمرة الثانية فاضطر العثمانيون إلى إخلائها [٥٢].

ولكى تؤكد بريطانيا تحالفها مع الادريسى عقدت معه معاهدة ثانية فى ٢٢ يناير ١٩١٧م؛ جددت فيها المعاهدة السابقة، كما اعترفت له بالسيادة على تهامة حتى اللحية فى الجنوب، والقنفذة فى الشمال [٥٣] ، هذا بالاضافة إلى اعترافها باستيلاء الادريسى عن جزر فرسان[٥٤] من العثمانيين وبأنها اصبحت جزءا من ممتلكاته وتعهدت بحمايته من أى اعتداء خارجى، وتعهد هو بعدم اقامة علاقات سياسية او تجارية مع أى حكومة اجنبية قبل الرجوع إلى بريطانيا.

---

[٤٧] فاروق اباظة: مرجع سابق، ص ٥٨١، والمقتطف: المجلد التاسع والخمسون، ج٣، سبتمبر ١٩٢١، ص ٢٦٧، تحت عنوان "بريطانيا العظمى والعرب".

[٤٨] Jacob, H.F: Kings of Arbia . London, 1923, P. 176.

[٤٩] فاروق أباظة: مرجع سابق، ص ٦٢٤.

[٥٠] نفسه، ص ٥٨١.

[٥١] محمد بن احمد العقيلى: المصدر السابق، ص ٧٢٩.

[٥٢] نفسه، ٧٣٠.

[٥٣] بلده على بعد ٢٠٠ ميلا إلى جنوب جده.

[٥٤] تبعد عن جيران ستين ميلا بحريا، طولها ١٠٠ كم وعرضها ٣٠ كم.

ومن هذه المعاهدة يتضح أن بريطانيا كانت تعتبر الادريسي حليفا لها ولم تعتبره اميرا خاضعا لحمايتها ويؤكد ذلك اعترافها باستقلاله فى جميع ممتلكاته[٥٥] وإلى جانب ذلك فمن الواضح ان الانجليز زادوا فى ارضاء الادريسى بحسم نقطة الخلاف الدائرة بينه وبين الشريف حسين شريف مكة بشأن قنفذة لصالحه خاصة وأن قوته تتمركز على الساحل وان مصالحه تتأثر مباشرة بقوة البحرية البريطانية فى البحر الأحمر.

وهكذا استفاد الادريسى من تحالفه مع الانجليز استفادة عسكرية واقتصادية كبيرة فحصل منهم على احدث الاسلحة والذخائر اللازمة لابعاد العثمانيين عن بلاده، كما استفادت بلاده اقتصاديا حيث تمتعت بنوع من الرخاء الاقتصادى، وذلك بفتح ابواب التجارة أمامها فقد ظلت موانيه مفتوحة فى وقت حوصرت فيه موانى اليمن مما مكنه من التحكم فى السلع التجارية واسعارها كما تخلص من الاختناق الاقتصادى الذى شعر به سكان المناطق المجاورة وكان ذلك خدمة هامة اتضح اثرها خلال الحرب إذ كانت موانيه هى الموانى الوحيدة المفتوحة فى وقت كان الحصار البريطانى البحرى للمناطق اليمنية يكاد يفتك بالحركة التجارية بها ويهدد بقيام المجاعات. [٥٦] وقد عبر عن ذلك احد شهود العيان بقوله "انقطعت البواخر البحرية وعظم الحرب، ودخلت سنة ١٣٣٣ هـ/١٩١٤م،واشتدت الحرب العظمى وامتنعت القطارات والبواخر البحرية واصاب الناس ضرر شديد بسبب ذلك". [٥٧]

ولقد كان من النتائج المترتبة على هذا الحصار عدم قدرة الامام يحيى على دفع المرتبات الشهرية للقبائل الموالية له، مما جعل العديد من رجالها يفضلون ترك خدمة الامام والانضمام إلى الادارسة ويؤكد ذلك ما ذكره الوشلى بأنه بعد أن جاءت هذه القبائل "إلى الامام وطلبوا منه تسليم مرتبهم الشهرى اعتذر لهم.. لانقطاع النازل البحرى بسبب المحاصرة.. فنزلوا إلى الادريسى ليكونوا من جملة عسكره ويصلوا إلى مقصودهم من الكفاية فاجتمع عنده منهم ما ينيف على عشرة آلاف مقاتل، فرتب لكل واحد منهم سبعة عشر ريالا شهريا.. وامرهم بالتوجه إلى اليمن لقتال الدولة العثمانية".[٥٨]

وعلى كل حال فبانتهاء الحرب العالمية الأولى انهار الحكم العثمانى تماما واشتد ساعد الادريسى حيث تم استسلام القوات العثمانية فى اليمن امام الانجليز، وقام البريطانيون بتسليم ميناء الحديدة- التى تعتبر بوابة صنعاء إلى العالم الخارجى. [٥٩]- إلى الادريسى فى عام ١٣٤٠هـ-١٩٢١م مما جعل صنعاء تنفصل عن البحر، وساعد على اشتداد النزاع المسلح بين اتباع الامام يحيى والادارسة. والسؤال الآن هو هل كان

---

[٥٥] فاروق اباظة: مرجع سابق، ص ٥٨٥.

[٥٦] سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢١٣.

[٥٧] عبد الواسع بن يحيى الواسعى: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن. القاهرة، الطبعة الثانية، ص ٣٢٩-٣٣٠.

[٥٨] الوشلى: مصدر سابق، ص ١٧٧.

[٥٩] جون بالدرى: العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن أبان الحكم التركى ١٩١٤-١٩١٩، ترجمة سيد مصطفى سالم، القاهرة، المطبعة الفنية، ص ١٣٤.

من حق بريطانيا تسلم ميناء الحديدة للادارسة، وهل استطاع الادارسة ادارة هذا الميناء كما ينبغي؟

الواقع ان البريطانيين وجدوا ان من مصلحتهم تسليم الحديدة للادريسي في محاولة منهم للضغط على الامام يحيى حتى يقلل من تأييده للعثمانيين فسلموها له على كره من اهلها، كما ان ما فعلوه كان تدخلا ذريعا في مسألة توزيع الأراضي والحدود بين الحكام المحليين المتنافسين مما أثار ثائره الامام يحيى[٦٠] لحرمان بلاده من منفذ طبيعي وضروري لمناطق زراعة البن اليمني، كما أنها منفذا طبيعيا لمدن تهامة الأخرى والميناء الطبيعي لصنعاء الا ان الادريسي فشل في ادارة هذا الميناء بعد أن ولى عليه ابن عمه مصطفى الادريسي الذي اشتط الأهالي غضبا من تصرفاته خصوصا لفرضه المكوس الباهظة على التجارة، واستبداده بالسكان مما جعلهم يفضلون الهجرة إلى عدن على الرغم من ان الادارسة قاوموا هذه الهجرة، وقبضوا على العديد من التجار المهاجرين [٦١] وقامت بأسرهم في ميناء "ميدى"[٦٢]

وعلى كل حال فإنه نتيجة لهزيمة المانيا وحليفتها الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى فرض الحلفاء شروطهم على العثمانيين والتى كان منها اقتطاع البلاد العربية عنهم، وتقسيمها إلى عدة دويلات ونتيجة لذلك انسحب المتصرف العثماني من عسير، وسلم ادارتها إلى آل عائض الذى نجح الادريسي في استمالتهم إليه، وضمهم تحت لوائه، فدخلت عسير تحت السيادة الادريسية نتيجة لاتفاقية صبيا، والتى اتفق بمقتضاها على ان تدخل عسير في حماية الادارسة، وان يكون حسن بن عائض نائبا على امارة عسير من قبل الدولة الادريسية على أن يرافقه في ادارة هذه الامارة مندوبا ساميا من قبل الادريسي وهو ابراهيم الشوكاني في مقابل ان يدفع الادارسة مبلغ خمسة آلاف ريال لآل عائض كمرتب شهرى لرؤساء قبائل عسير.

واستمرت الأمور على هذا المنوال حتى نهاية عام ١٣٣٧هـ/١٩١٨م وبعدها بدأ حسن بن عائض يتمرد على سيادة الادارسة على بلاده، ويناوئ مندوبهم في عسير، كما امتنع عن ارسال الزكاة المقررة على اهالى عسير إلى الادريسي، وامر بصرفها على رؤساء قبائل عسير كمقررات سنوية لهم، وبالرغم من ذلك فقد اتبع الادريسي سياسة الملاينة مع آل عائض في اول الأمر خشية ان يفلت الزمام من يده ولما أصر آل عائض على معارضتهم للسيادة الادريسية، وتنصلهم من اتفاقية صبيا رأى محمد الادريسي استعمال سياسة الضغط معهم حتى ينيروا من موقفهم فقطع المواصلات مع عسير، وحاصرها اقتصاديا ولما لم يجد في ذلك نفعا تشجع آل عائض على الثورة ضدهم والخروج على طاعتهم، ونتيجة لذلك جهز الادريسي جيشا بقيادة حمود سرداب لدخول عسير واخضاعها بالقوة، ولما تقدم الجيش الادريسي في مركز الشعبين بطريق وادى العوص والعقبة (الصماء) وجد رجال عسير في انتظاره، وعلى أهبة الاستعداد، وحدثت معركة انتهت

---

[٦٠] فاروق اباظة: مرجع سابق، ص ٦٦٣.

[٦١] سيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص ٢٦٢. وفاروق اباظة: الحكم العثماني لليمن، ص ٤١١.

[٦٢] Jacob , H.F : Kings of Arabia , P. 249.

بانتصار العسيريين، وتراجع الجيش الادريسي[٦٣] هذا فى الوقت الذى كان فيه امام اليمن قد بدأ يتحرش بالادارسة بعد استيلائهم على الحديدة خصوصا وانه احس بانقلاب موازين القوى فى غير صالحه، ففى حين كان يطمع فى توسيع رقعة مملكته بعد خروج الأتراك من بلاده، وذلك بالاستيلاء على اجزاء واسعة من أملاك الادارسة او القضاء عليهم نهائيا وجد الانجليز يسلمون الادريسى ميناء الحديدة، مما أثار ثائرته، وجعله يشعل نيران الحرب مع الادارسة.

وإلى جانب هذا وذاك كان الهاشميون يروجون دعايتهم السياسية فى منطقة المخلاف السليمانى وعسير بهدف توطيد نفوذهم فيها والتخلص من نفوذ الادارسة[٦٤]، كما كان الشريف حسين يعد لترتيب قيام ثورة عربية كبرى ضد العثمانيين مما جعل بريطانيا تحاول التوفيق بينه وبين الادريسى وخلال ذلك الوقت العصيب بالنسبة للادارسة توفى السيد محمد الادريسى فى يوم الثلاثاء الثالث من شعبان ١٣٤١هـ/الموافق أوائل عام ١٩٢٣م وقبل أن ننتقل إلى خلفاء الادريسى ينبغى لنا أن نذكر ان محمد الادريسى كان وبحق المؤسس الفعلى لامارة الادارسة فى منطقة المخلاف السليمانى.

لقد قال عنه البعض انه استعمل الفسفور والكهرباء بقصد اقناع الأهالى بولايته، واتهمه البعض الآخر بادعاء المهدية والوقوف بجانب اعداء الاسلام، ومع ذلك فلا يستطيع احد أن ينكر انه استطاع بما يتمتع به من ذكاء وعلم وحنكة سياسية وقوة إرادة ان يحافظ على الأمن فى امارته ويوقف المنازعات المستمرة بين القبائل ويقنع الناس باتباع قواعد الدين، كما لا يستطيع احد ان ينكر انه وقف ضد العثمانيين بعد أن رأى منهم عدم الاهتمام بالمصالح العربية والاسلامية ومحاولتهم اضعاف حركة التتريك على العرب، وترك بلادهم تموج بالمظالم وتعجم بالفتن.

هذا عن رأينا فى دور السيد/ محمد الادريسى اما عن خلفائه فيمكننا القول أنه بعد وفاة الادريسى انعقدت البيعات الخاصة والعامة لولده "الأمير على" من اهل الحل والعقد بجهات صبيا وما والاها، ولكن نظرا لصغر سن هذا الأمير، وقلة خبرته لم يستطع تسيير دفة الأمور فحدثت منازعات بينه وبين وزراء والده الذين اصبح لا يطمئن اليهم، ويشك فى نواياهم كما قام عمه الحسن بمنازعته على ملك الادارسة، هذا بالاضافة إلى مجاهرة ابن عم والده مصطفى الادريسى برغبته فى الاطاحة به حيث كان يرى انه أولى بتولى حكم الادارسة منه.[٦٥]

كل ذلك جعل الأمر يفلت من الأمير على وجعل امارة الادارسة تمر فى أدوار الاضطراب الداخلى فقامت الحرب الأهلية بين أفراد هذه الأسرة فى عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م وكان من نتيجتها تفكك الامارة

---

[٦٣] محمد بن احمد العقيلى: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٣٨-٧٤٠.
[٦٤] حديحة احمد على: العلاقات اليمنية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٨٣، ص ٥١.
[٦٥] مبارك الحرشنى: مرجع سابق، ص ٦٢.

الادريسية، وتقسيمها إلى قسمين قسم تحت حكم الأمير على والآخر سيطر عليه عمه الذى جعل من مدينة الزيدية مقرا لملكه [٦٦] وقام بجمع الجيوش وتعبئتيا للتخلص من ابن أخيه.

وفى محاولة لاصلاح ذات البين بين الطرفين قام احد السنوسيين بالوساطة، ونظراً لتمسك الأمير على برفض المصالحة فقد رأى السنوسى خلعه من الامامة واقامة عمه الحسن مكانه، وإزاء ذلك لم يجد الأمير على بدأ من ترك العاصمة صبيا والاتجاه إلى جيزان حيث جعل منها مقرا لاقامته، نظرا لوجود حامية عسكرية قوية تابعة له فى منطقة الحفاير، ونتيجة لذلك انتقل جهاز السلطة الحاكمة من صبيا إلى جيزان، وكاجراء وقائى له قام بعزل الكثيرين من مساعديه الذى عاونوا والده، وأخذ يستعين بعناصر جديدة من الموالين له بالرغم من قصور خبرتهم السياسية والادارية. [٦٧]

ونتيجة لاضطراب الأمور فى الامارة الادريسية بدأ الامام يحيى فى استغلال هذه الفرصة، فأخذ فى بسط سيطرته على الأراضى اليمنية التى كانت تحت حكم العثمانيين وان يحصر الادارسة فى الجزء الشمالى من عسير فقط ، كما أرسل قواته التى تزيد عن خمسين ألف مقاتل للاستيلاء على كل ما يقابلها من بلاد الادارسة ونتيجة لتدهور الأمور وعدم قدرة الأمير على مواجهة الموقف تم خلعه ومبايعة عمه الحسن اميرا على تهامة عسير فى عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م. وخلال ذلك الوقت كان الملك عبد العزيز آل سعود قد ارسل وفدا من قبله مؤلفا من ابن عسكر، ومحمد بن دليم ومصطفى النعمى. وعبد الرحمن ظافر النعمى، وعبد الوهاب ابو ملحة للاطلاع على حقائق الأمور، ومحاولة التوفيق بين افراد الاسرة الادريسية. [٦٨]

وما أن وصل الوفد إلى منطقة النزاع حتى كان الحسن الادريسى قد رجحت كفته وازاح ابن اخيه واجبره على التنازل له عن الامامة، والفرار إلى عدن.

ونظرا لاستمرار الامام يحيى فى توسعه داخل امارة الادارسة تحمل الحسن الادريسى عبء الكفاح، واخذ يستنهض الهمم لمقاومة القوات الغازية[٦٩] ولكنه لم يستطع فقد استولى الامام يحيى على معظم منطقة تهامة الجنوبية. وعندما رأى السيد/ الحسن الادريسى ان القوات اليمنية تزحف منتصرة على الادارسة لتلتهم ما تبقى من امارتهم عرض على الامام يحيى سحب القوات الغازية والاعتراف باستقلاله الداخلى على ان يعترف له بالسيادة على امارته، ولما رفض الامام يحيى ذلك واستمرت قواته فى مواصلة زحفها طلب الحسن الادريسى من الزعيم الاسلامى احمد الشريف السنوسى المشورة فأشار عليه "أن من الخير له ان يرتبط بمعاهدة صداقة وحماية مع آل سعود، فرجح الحسن ذلك وانتدبه لتلك المهمة فتوجه إلى الحجاز"[٧٠]

---

[٦٦] الوشلى: مصدر سابق، ص ٢٢٥، ٢٣٨.
[٦٧] مبارك الحرشنى: مرجع سابق، ص ٦٢-٦٣.
[٦٨] محمد بن احمد العقيلى: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٦٠.
[٦٩] احمد طربين: الوحدة العربية ١٩١٦-١٩٤٥، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٩، ص ١٣٩، وايضا امين الريحانى: مرجع سابق، ج١، ص ٣٠٢.
[٧٠] محمد بن احمد العقيلى: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٦٠.

كما توجه وفد آخر إلى الرياض صاحبة العلاقات التاريخية بالمخلاف وعسير للاتفاق حول تأمين منطقة المخلاف ضد الأطماع الموجهة إليها. [٧١]

ضم الملك عبد العزيز امارة الادارسة إلى ملكه:

وعلى أثر ذلك عقدت معاهدة مكة بين الملك عبد العزيز والسيد/ الحسن الادريسى فى ١٤ ربيع الثانى ١٣٤٥هـ الموافق ٢١ اكتوبر ١٩٢٦[٧٢] وبمقتضاها تنازل السيد/ الحسن عن ادارة كافة شئون امارته للملك عبد العزيز الذى نصبه حاكما عليها من قبله، وامر بتشكيل مجلس شورى لمساعدته ينتخب رجاله من اهل الحل والعقد على ان تكون الاحكام والحدود الصادرة منه طبقا للشرع الشريف. [٧٣]

وبمعونة الملك عبد العزيز اتخذ السيد/ الحسن بلدة ابو عريش عاصمة له يقوم فيها بادارة شئون امارته الداخلية فى حين يقوم الملك عبد العزيز بادارة شئون الامارة الخارجية ويضمن سلامة حدودها.

ولكى تتضح الامور امام الامام يحيى ارسل الملك عبد العزيز إليه نسخة من معاهدة مكة للتصديق عليها، والكف عن مهاجمة امارة الادارسة التى أصبحت تحت حمايته، وكانت المفاجئة عنيفة بالنسبة للامام فاما أن يقر المعاهدة ويعترف بها، واما أن يرفضها، ويصطدم بالقوات السعودية، وتكون الأمور غير محمودة العواقب وقد جنح الامام يحيى إلى السلم فأجاب على رسالة الملك عبد العزيز ببرقية تتضمن الموافقة ثم امر قائده بايقاف الحرب مع الادارسة والاستجابة إلى دعوة الملك عبد العزيز إلى المؤتمر الاسلامى فى مكة الذى انعقد فى عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م فأرسل وفدا إلى المؤتمر كانت مهمته التفاوض بشأن تحديد الحدود بين البلدين الشقيقين، وعقد معاهدة تنظم العلاقة بينهما، وقد عاد الوفد يحمل مقترحات الاتفاق إلى الامام فلم تنل من جانبه قبولا، ونتيجة لذلك تعددت الرسل والوفود بين الرياض وصنعاء لتسوية الأمور، وسافر مندوبو البلدين إلى عسير لدراسة الموقف والاتفاق على حل نهائى[٧٤] وخلال ذلك تفاقمت الخلافات بين الادارسة وازدادت المواقف سوءا فيما بينهم مما جعلهم يفضلون الانضمام نهائيا إلى آل سعود والانضواء تحت لوائهم فقعد اتفاق فى عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م تناول بموجبه السيد/ الحسن الادريسى ومجلس شوراه عن ادارة كافة شئون امارته إلى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، وبموجب ذلك اصبحت هذه المنطقة رسميا ضمن أجزاء المملكة العربية السعودية وانتهت سلطة الادارسة عليها.

وعندما نقلت اجهزة البرق هذا النبأ إلى العالم كانت هناك مباحثات دائرة فى روما بشأن المصالح البريطانية والايطالية فيمنطقة البحر الأحمر وكانت ايطاليا تطالب بعسير، وقبل ان تتفق الدولتان على تقسيم

---

[٧١] Toynbee. Op.Cit, P. 323.

[٧٢] امين سعيد: تاريخ الدولة السعودية، ج٢، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ص ٩٥.

[٧٣] جورج انطونيوس: مرجع سابق، ص ٣٧٢، حافظ وهبه: مرجع سابق، ص ٢٨.

[٧٤] المقتطف: المجلد الرابع والثمانون، الجزء الخامس ١٩٣٤، مقال للاستاذ امين سعيد تحت عنوان "دولة اليمن ودولة آل سعود" بحث تاريخى فى نشأتهما وتطورهما، ص ٦٠٤.

منطقة البحر الأحمر كانت منطقة المخلاف السليمانى وعسير قد دخلت ضمن السيادة السعودية. والسؤال الذى يطرح نفسه هو بماذا استقبل أهالى المنطقة انضمام امارتهم إلى آل سعود؟

الواقع أن الأهالى كانوا فى معظمهم من المعتنقين للمذهب السلفى الذى تأصلت جذوره فى نفوسهم، ومن هنا كانوا يحملون فى صميم قلوبهم اصدق الولاء والاكبار لآل سعود، يسيرن تحت لوائهم ودائما ما يلجئون إليهم فى حل مشاكلهم. [٧٥] وبالرغم من ذلك، ومع ان زعماء العديد من القبائل كانوا قد ارسلوا بتوقيعاتهم إلى الملك عبد العزيز بما يتضمن الموافقة على انضمام بلادهم إلى مملكته، وبالرغم من ان الحكومة السعودية كانت قد أمرت موظفيها بأن يلاحظوا منزلة السيد/ الحسن الادريسى ومكانته ويحافظوا على هيبته وكرامته هو وعائلته. [٧٦] فإن السيد/ الحسن لم يلبث أن حاول التخلى، عما اتفق عليه والانقضاض على الحكم السعودى فتقدم فى صيف ١٣٥١هـ/١٩٣٢م معلنا عصيانه، وتمكن من احتلال بلدتى "ابو عريش" و "جيزان" [٧٧] ولكن ذلك الموقف لم يستمر سوى ثلاثة ايام حيث وصلت الامدادات العسكرية السعودية ودارت معارك بين فلول الادارسة والقوات السعودية ، تمكنت فيها القوات السعودية من استعادة زمام الأمور، واستطاعت القضاء على الفتنة مما اضطر الادريسى إلى الفرار هو وعائلته إلى "حرض" طالبا اللجوء السياسى، فزين له الامام يحيى امكانية البقاء وأمر باقامته فى مركز "ذهب حجر" بمقاطعة حرض.

ونظرا لخطورة ذلك الموقف طلب الملك عبد العزيز من الامام يحيى اعادة الادارسة الفارين إليه عملا بالاتفاقات المعقودة بينهما[٧٨] وحفاظا على السلام بين البلدين، ومن أجل ذلك دارت عدة مفاوضات طلب خلالها الامام يحيى العفو عن الادارسة اللاجئين إليه. وعن كل ما حدث منهم حيث أنهم استجاروا به، وقد وافق الملك عبد لعزيز على طلب الامام يحيى حفاظا على حسن الجوار بين بلديهما فأرسل برقية إليه قال فيها : "إن جميع من التجأ إليكم له امان الله على ماله ودمه، وانه عفو شامل عن جميع ما مضى وحدث فى هذه الفتنة الشيطانية سواء فى حقوق الحكومة أو حقوق الاهلين وأن جميع من اعطيتموه الامان والمكان فهو تام على وجهه ما يحذرون شيئا سواء فى ذلك الحسن وآله وغيره من الرعية".[٧٩]

وقد أجاب الامام يحيى على برقية الملك عبد العزيز ببرقية طلب فيها أن يحرر للسيد/ الحسن عفوا وأمانا خاصا به وقد رد عليه الملك شاكرا له سعيه للاصلاح وقال: "انه يعطى امان الله وعهده للحسن ومن

---

[٧٥] احمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، ج٢، ص ٣٣٣.

[٧٦] المساء فى ١٩ رجب ١٣٤٩هـ (١٠ ديسمبر ١٩٣٠م) تحت عنوان "ابن السعود وعسير".

[٧٧] أحمد طربين: المرجع السابق، ص ١٤١.

[٧٨] كان معاهدة العرو الذى عقدت بين الجانبين السعودى واليمنى تقضى على الامام بتسليم الادارسة الفارين إليه.

[٧٩] المقتطف: مقال سابق ذكره، ص ٦٠٥.

تبعه على دمه وشرفه وان جميع ما فات منه لا يعاقب عليه، وانه سيكون اخا عزيزا له"[٨٠] بشرط ان يكون هناك ضمانا بحسن تصرفاته. كما وافق الملك عبد العزيز على أن يدفع مرتبا شهريا للادريسى.

ونتيجة لتوسط الامام يحيى وافق الملك عبد العزيز على عقد مؤتمر فى "ميدى" يحضره السيد/ الحسن ورجاله ومندوب من قبل الملك عبد العزيز ومندوب من قبل الامام يحيى لتسوية الأمور المتعلقة. وقد عقد هذا المؤتمر فى أواخر شوال ١٣٥١هـ/١٩٣٢م واستمر شهرين وانفض دون نتيجة.

وحرصا من الملك عبد العزيز على المحافظة على الأخوة الاسلامية بين مملكته ومملكة اليمن، وعدم اثارة مشاكل على الحدود بينهما طلب عقد معاهدة لتثبيت الحدود بين البلدين، وانتهى الأمر بعقد معاهدة الطائف فى ٦ صفر ١٣٥٣هـ (٢٠ مايو ١٩٣٤م) وفيها اعترف كل من البلدين باستقلال البلد الآخر. وسيادته التامة على أراضيه، كما اتفق على تسليم الادارسة الفارين إلى اليمن للسلطات السعودية حيث تتم اقامتهم فى مكة المكرمة.[٨١]

ونتيجة ذلك انتهت عملية التوتر القائمة بين البلدين، واصبحت منطقة المخلاف السليمانى وعسير جزءا عزيزا فى جسد الوطن السعودى تتمتع مثل غيرها من اجزاء المملكة بما حباها الله به من الأمن والعدل واليسر والرخاء، كما شملتها الاصلاحات والمشروعات العمرانية التى يشهد بها كل من يزور المنطقة الجنوبية من المملكة أو يطرق بابها.

---

[٨٠] المقتطف: مقال سابق.

[٨١] عن تفاصيل معاهدة الصداقة الاسلامية والاخاء العربى بين المملكة المتوكيلة اليمنية والمملكة العربية السعودية فى ٢٠ مايو ١٩٣٤م، انظر:

محمد فؤاد شكرى وأخران: نصوص ووثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، الانجلو المصرية، ص ٤٨٨-٤٩٠.

ثبت المصادر والمراجع

أولا: وثائق منشورة:

-Hurewitr, J.C: Diplamacy in the Near and Middle East, 2 Vols , New York, 1956.

ثانيا: المصادر والمراجع العربية:

- احمد حسين شرف الدين: اليمن عبرالتاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشـــرين، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.
- احمد طربين: الوحدة العربية بين ١٩١٦-١٩٤٥، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٩.
- احمد عبد الغفور عطار. صقر الجزيرة، ج٢، جدة ١٣٨٤هـ.
- اسماعيل بن محمد الوشلى التهامى: من تأريخ اليمن الحديث: "ذيل" نشر الثناء الحسن المنبئ ببعـض حوادث الزمن من الغرائب الواقعة فى اليمن، تحقيق محمد الشـعيبى، صنعـاء، الطبعـة الأولـى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- امين الريحانى: ملوك العرب، جـ١، بيروت ١٩٥١م.
- امين سعيد: تاريخ الدولة السعودية، جـ٢، الرياض، دارة الملك عبد العزيز.
- جلال يحيى: الثورة العربية، القاهرة، دار المعرفة ١٩٥٩م.
- جورج انطونيوس: يقظة العرب، تعريب على حيدر الركابى، دمشق، مطبعة الترقى.
- جون بالدرى: العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن ابان الحكم التركى ١٩١٤-١٩١٩، ترجمة سيد مصطفى سالم، القاهرة، المطبعة الفنية د.ت.
- حافظ وهبة: جزيرة العرب فى القرن العشرين. القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م.
- خديجة احمد على: العلاقات اليمنية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة، مكتبـة كليـة الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، ١٩٨٣م.
- سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس: البحر الأحمر فى التـاريخ والسياسـة، القاهرة ١٩٨٠.
- سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٣.
- عبد الواسع بن يحيى الواسعى: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن، القاهرة، الطبعة الثانية.
- فاروق عثمان. أباظة:

(أ)الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢-١٩١٨م بيروت، دار العودة، ١٩٧٩.

(ب)عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨ ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦.

- مبارك محمد الحرشنى: النظم الادارية والمالية فى تهامة عسير خلال الاشراف السعودى، جدة، دار العلم، ١٤٠٥هـ.
- محمد بن احمد العقيلى:

(أ)تاريخ المخلاف السليمانى، جزءان، الرياض، دار اليمامة، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(ب)مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير (تحقيق)، نادى أبها الأدبى، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٦م.

- محمد فؤاد شكرى وآخران: نصوص ووثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، الانجلو المصرية.
- مديحة درويش: العلاقات السعودية المصرية ١٩٢٤-١٩٣٦، رسالة دكتوراه غير منشورة ١٩٧٨م، مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٥٥٦.
- نخبة من الأساتذة: معجم أعلام الفكر الانسانى، المجلد الأول، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

- Hogarth: Arabia, Oxford 1922.
- Jacob, H.F. Kings of Arabia, London, 1923.
- Toynbee, Arnold J: Islamic world, Survey of International Affairs vol 1, London, 1927.

رابعا: الدوريات:

- الأهرام، اغسطس ١٩٠٩.
- العرب، يوليو- اغسطس ١٩٨٦.
- المساء، ديسمبر ١٩٣٠.
- المقتطف، سبتمبر ١٩٢١، مايو ١٩٣٣.
- المقطم، ديسمبر ١٩٣٠.
- المنار، المجلد ١٦.